

مراجعة وتقديم

الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السريان العامر

عر ٢.٥ جنيه

باسم الآب والابن والروح القدس الله الواحد آمين

مقدمة الطبعة الثانية

ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب إلى النور سنة ١٩٥١ من مطبعة دير السريان، وفيه سيرة القديس العظيم الأنبا يحنس كاما القس شفيع دير السريان.

والآن وبعد ٥٦ سنة تقريباً نعيد طبع ونشر الكتاب بعد تنقيحه وإدخال بعض الإضافات عليه مثل خبر وتاريخ نقل جسد القديس الأنبا يحنس كاما القس من ديره القديم المتهدم إلى دير السريان في سنة ١٥١٥م، كذلك أضفنا موجزاً عن وصف لدير السريان في الوقت الحاضر أوائل القرن الواحد والعشرين.

نرجو أن يكون هذا الكتاب في طبعته الثانية المنقحة والمزيدة مفيداً ونافعاً لكل من يقرأه.

بشفاعة أمنا العذراء القديسة مريم وصلوات أبينا القديس العظيم الأنبا يحنس كاما القس، وبصلوات باعث الرهبنة الحديثة قداسة البابا المكرم الأنبا شنوده الثالث.

ولإلهنا المجد إلى الأبد آمين،،

الأنبا متاؤس
أسقف دير السريان العامر

أول ديسمبر ٢٠٠٧ / ٢١ هاتور ١٧٢٤ — عيد نقل جسد القديس العظيم الأنبا يحنس كاما

ⲤⲨⲚ ⲐⲈⲰ ✠ ⲒⲤⲬⲨⲢⲞⲤ

باسم الله القوي

المقدمة

إذا أشرق النور السماوي في حياة إنسان، فإن إشعاعه لا يقف عند حد إنارة الشخص ذاته ببهاء الفضيلة، بل يشرق ذلك الإنسان على من حوله فيصبح كالكوكب المنير الذي وإن كانت في طبيعته المادية مظلماً إلا إنه ينير من جراء انعكاس نور الشمس عليه. والنور السماوي إشعاع خالد لن يخبو مدى الدهر لذلك يستمر مؤثراً في النفوس حتى ولو غاب الكوكب عن الأنظار.

فنور القديسين قد أضاء المسكونة بسمو فضائلهم، وصلابة جهادهم، وقوة عزيمتهم، وصبرهم النفاذ، وترفعهم عن الماديات. فجذبت قدوتهم الصالحة نفوساً كثيرة سارت على منهاجهم، واقتفت آثارهم فسمت مثلهم وانضمت إلى زمرتهم. واستمر ضياءهم يشع بعد رحيلهم عن العالم واختفائهم عن الأبصار الحسية وظل عبير سيرهم يفوح فيثير في النفوس كوامن الفضيلة فتنمو وتزدهر. ومن أمثلة ذلك أن قراءة شاب مستهتر لسيرة

الأنبا أنطونيوس كانت سبباً في تجديده وسموه الذي بنعمة الرب صار قديساً عظيماً هو الأسقف والعالم الشهير أغسطينوس.

وما أحوج الكنيسة القبطية في هذه الأيام إلى التفتيش عن سر عظمتها التليدة في أولئك الأبطال المجاهدين الذين حملوا لواء القيادة الروحية فيها فجعلوها بروحهم وجهادهم وعلمهم، منار الفضيلة، وحامية الإيمان، ومعلمة المسكونة.

وفي برية شيهيت تألقت نجوم زينت سماء الكنيسة بالمجد والبهاء فاتجهت أنظار العالم كله نحوها في ذلك الحين.

ومن برية شيهيت نقدم إلى أبناء الأبطال نماذج من سير هؤلاء الكواكب، لكي تشع فضائلهم في قلوبنا مرة أخرى فتتأجج فيها ثانية جذوات القداسة الكامنة فنرتسم خطاهم لنعيد عصور مجدهم، مستعينين بصلواتهم وتشفعاتهم عنا.

ونبدأ حلقة سير أولئك الأبطال بسيرة الأنبا يوأنس كاما قديس دير السيدة العذراء الشهير بالسريان، حيث يوجد جسده الطاهر كجوهرة ثمينة تشع على أبنائه القاطنين في دياره المقدسة.

المصادر الأصلية للسيرة

وهذه السيرة مأخوذة عن أربعة نسخ خطية قديمة، اثنتان منها باللغة القبطية واثنتان باللغة العربية.

والنسختان القبطيتان نشرتا في الخارج منذ أكثر من ربع قرن. نشر أحدهما الأستاذ م. هـ. دافيز سنة ١٩١٩ في مجموعة " الباترولوچيا أورينتالس " أي مجموعة أقوال الآباء الشرقيين. مع ترجمة إنجليزية للنص القبطي كطلب الأستاذ إيڤلين هوايت الذي أخذ أصل هذه المخطوطة القبطية من دير أبو مقار بوادي النطرون. وهو يرجح أن تاريخ نساخة هذه المخطوطة يرجع إلى القرن الثاني عشر.

وإننا نقدم جزيل الشكر للأب الفاضل الراهب إبراهيم الأنبا بيشوي المتضلع في اللغة القبطية للمجهود الذي بذله معنا في ترجمة النسخة القبطية الثانية التي قام بنساختها مع مجموعة أخرى من سير الآباء باللغة القبطية، وأعارها لنا الأب الفاضل قزمان البرموسي، فنقدم له عظيم الامتنان على ما يسديه لمكتبات الأديرة من خدمة بإعادة صور من السير القبطية القديمة التي أخذها الأجانب منها ونقلوها إلى الخارج.

وبعد ترجمة الأصل القبطي إلى اللغة العربية قابلناها على النسختين العربيتين الموجودتين بمكتبة دير السريان حالياً. والتزمنا الاصطلاحات الأكثر اتفاقاً في المعنى مع الأصل القبطي لأنه واضح أن النسخ العربية مترجمة عن اللغة القبطية في عصور لم يكن فيها الأقباط قد أتقنوا اللغة العربية وقواعدها فلذلك جاءت

ترجماتهم العربية غير واضحة لتأثرها بقواعد اللغة القبطية في تراكيبها.

والنسختان القبطيتان غير كاملتين للأسف إذ أن الملزمة الخامسة بأكملها (١٦ صفحة) وهي الملزمة السابقة للأخيرة مفقودة منهما وتشمل ذكر الحوادث التي تلت نياحته. إلا إن النسختين العربيتين كاملتين بحسن توفيق الله. ومع ذلك فالنسختان العربيتان ينقصان عن النسختين القبطيتين حوالي ورقة واحدة في نهاية السيرة تشمل تعداد فضائل القديس. وقد استكملنا بنعمة الرب كل الأجزاء الناقصة في هذه السيرة المطبوعة فجاءت كاملة بالقدر الذي عثرنا عليه في هذه المخطوطات الأربع.

تاريخ القديس

اكتفت السيرة بكتابة يوم نياحة القديس ولم تحدد سنة نياحته أو ميلاده أو مجيئه إلى الإسقيط لكن يمكن تحديد مجيئه بالتقريب. في سنة ٨١٨ م حدث هجوم من البربر على برية الإسقيط المقدس بعد موت هارون الرشيد والصراع بين بنيه على تولي الخلافة، فهرب معظم الرهبان إلى الصعيد ومن لم يستطع الهروب كان نصيبه القتل ونوال إكليل الشهادة.

ولكن في غضون أعوام قليلة عاد جميع الرهبان والمتوحدين إلى قلاليهم وذلك في سنة ٨٢٥ م في حبرية البابا يعقوب ال ٥٠ الذي كان أحد الرهبان الفارين. فاهتم اهتمام شديد بتعمير برية شيهيت حتى قيل عنها أنها أصبحت كفردوس الرب. فيكون بذلك ذهاب أنبا يحنس كاما إلى الإسقيط بعد عام ٨٢٥ م حيث ذهب في فترة الازدهار الرهباني ويكون عمره الرهباني لا يقل عن ٣٥ عام تقريباً. ورغم خلو المخطوط من تاريخ نياحته إلا أنه يعوضنا عن ذلك وجود لوحة رخامية قديمة محفوظة بالدير إلى الآن منقوش عليها باللغة القبطية خبر نياحة القديس بالتفصيل. وسنورد ترجمتها الحرفية عند الكلام عن آثار الدير وهي تبين أن القديس يوأنس كاما تنيح في الساعة الأولى من ليل ٢٤ كيهك سنة ٥٧٥ للشهداء الموافق ٢ يناير سنة ٨٥٩ ميلادية. فيكون قد عاش في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي.

ولما كانت نياحته في الليل أي بعد انتهاء يوم ٢٤ لذلك اعتبر السنكسار القبطي ذكرى نياحته يوم ٢٥ كيهك من كل سنة.

مسقط رأسه

ورد في النسختين القبطيتين أنه من أهل قرية تدعى " جبرومونسون " Ⲭⲉⲡⲣⲟⲙⲟⲩⲛⲟⲛⲥⲱⲛ من أعمال " ساي " Ⲥⲁⲓ. ويقابلها في النسختين العربيتين اسم (شبرا منصو) من أعمال (صا). وبَيَّن السنكسار أنه قرية " شبراتني " بمركز كفر الزيات بمديرية الغربية. و" صا " هي قرية " صا الحجر " المشهورة بآثارها بنفس المركز.

اسمه

يترجم العلماء اللقب كاما Ⲭⲁⲙⲉ بالأسود. إلا أن الأستاذ " كترمير " يرى أنه لو قُصد بالاسم " كاما " معنى الأسود لسبق بأداة التعريف ال ⲡⲓ فيكون تركيب الاسم Ⲓⲱⲁⲛⲛⲏⲥ ⲡⲓⲭⲁⲙⲉ قياساً على اسم الأنبا موسى الأسود الذي يكتب بأداة التعريف Ⲙⲱⲩⲥⲏⲥ ⲡⲓ ⲭⲁⲙⲉ في حين أن الاسم كاما ورد في السيرة كلها بلا أداة تعريف فكان يُكتب Ⲓⲱⲁⲛⲛⲏⲥ Ⲭⲁⲙⲉ ولم يرد الاسم مسبوقاً بعلامة الصفة (ⲛ̀ النعتية) إلا مرة واحدة في السيرة كلها Ⲓⲱⲁⲛⲛⲏⲥ ⲛ̀ⲭⲁⲙⲉ وهذه لا تكفي دليلاً على أن المقصود بكاما الصفة " أسود ". كما لا يوجد في السيرة أي قرينة تدل على أنه كان أسود اللون بل على العكس تصفه

السيرة بأنه كان حسن المنظر فالمرجح أن " كاما " لقب خاص اشتهر به القديس.

حيث أن Ⲭⲁⲙⲉ كلمة قبطية معناها أسود وهي مشتقة من Ⲭⲏⲙⲓ (مصر) أي ذات التربة السوداء. أما كلمة يحنس فقد حرّفتها العامة من يوحنس باللغة القبطية الصعيدية أما يوأنس فهي باللغة القبطية البحرية وهي مرادف للاسم يوحنا وتعني الله يتحنن.

كاتب السيرة وتاريخها

لم يذكر كاتب السيرة اسمه إلا إن القرائن تدل على أنه أحد رهبان دير القديس كتبها بمناسبة إلقائها في أحد أعياده.

ويُرجح أن السيرة كُتبت بعد نياحة القديس بمدة وجيزة لأن العادة المتبعة بين الرهبان كانت أن يكتب تلميذه سيرة معلمه بعد نياحته مباشرة وكان للقديس يوحنا كاما تلاميذ كثيرين وكان منهم كتبة ونساخاً والدليل على ذلك أنه وجد في خاتمة إحدى المخطوطات القبطية الموجودة الآن بالفاتيكان ما ترجمته " أتضرع إلى القاريء أن يذكر كاتبه الفقير الخاطيء يعقوب ابن شنوده (أبي) بن يوحنا كاما " فمؤلف المخطوطة كان ابن ابن أي تلميذ القديس يوأنس كاما.

وبعد كتابة السيرة الأولى اختفت من الدير مدة طويلة تحت ظروف تظهر في سياقها. وعندما عثر عليها رهبان الدير مرة ثانية فرحوا بها جداً وأعادوا كتابتها وأضافوا عليها بعض الحوادث الهامة التي مرت على الدير خلال هذه المدة. وفي آخر هذه الحوادث وردت القصة المتعلقة بالمجاعة التي اجتاحت البلاد سنة ٦٨٢ للشهداء (٩٦٦ ميلادية). ونستنتج من هذا التاريخ أن السيرة كتبت في قالبها الجديد بعد نياحة القديس بحوالي مئة سنة على أقل تقدير.

ووجد على ظهر السيرة القبطية التي أخذها إيڤلين هوايت من دير القديس أبو مقار وقفية مكتوبة باللغة العربية نصها " حبس على ولتاكي القديس بو مقار فمن أخرجه خارجاً من القستالي إلى قلاية أخرى أو إلى أي مكان آخر خارجاً عن القستالي أو استعاره ولم يرده أو اقتناه لنفسه دون ... بو مقار يكون تحت المنع والحرم ويكون نصيبه مع يهود الاسخريوطا (أي يهوذا الإسخريوطي) والآخذ والمعطي (رشوة) حتى يخرجه كلاهما تحت هذا الرباط الواحد. وكتب المسكين بولس خادم " كنيسة " أبي شنوده ببيج (بلد غير معروفة الآن) سنة واحد وسبعين وتسعماية ".

أي أن هذه الوقفية كتبت على ظهر السيرة في القرن الثالث عشر سنة ١٢٥٥ ميلادية التي تقابل سنة ٩٧١ للشهداء.

ويلاحظ أن السيرة كُتبت في الأصل كقطعة واحدة متتالية بدون تقسيم ولا تبويب ولتسهيل تتبع الحوادث والرجوع إليها قسمناها إلى أبواب ووضعنا لكل قسم عنواناً مختصراً كما أضفنا شواهد الآيات وبعض الملحوظات في الهوامش.

الرب نسأل أن يجعل هذه السيرة بركة لحياة كل من يقرأها لينمو في القداسة، ويجاهد من أجل الفضيلة، ويزداد في كل عمل صالح.

تاريخ ووصف دير السريان

ولما كان جسد القديس يوأنس كاما يزين الآن دير السيدة العذراء الشهير بالسريان، فقد رأينا استكمالاً للفائدة أن نُلحق بالسيرة عجالة تاريخية عن الدير وكنائسه مما وصل إلينا من مراجع مخطوطة ومطبوعة وما تناقله الآباء الرهبان خلفاً عن سلف.

دير السيدة العذراء – السريان

سيرة القديس يوأنس كاما

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

نبتديء بمعونة الرب

بكتابة جزء من سيرة وفضائل أبينا الطوباوي

لابس الروح ولابس الجهاد ولابس الإله ولابس الصليب

القس المكرم أبا يوحنا كاما

فائدة لكل من يسمعها

هذا الذي تنيح في الخامس والعشرين من شهر كيهك

رزقنا الله بركة صلواته ومقبول طلباته آمين

نشأة القديس

فالقديس الذي نحن بصدده الآن كان من أصل قرية تدعى (شبرا منصو) من أعمال (صا)، وقد بدأ منذ حداثته في الفضيلة، وكان حسن المنظر وديعاً مع الجميع، نشيطاً في الفضيلة هادئاً في كلامه، ميالاً بحواسه إلى الوحدة طاهراً في جسده، نقياً في نفسه، صالحاً مع كل الناس، محباً للصدقة، ومضيفاً للغرباء، باراً في نفسه حكيماً وفهيماً يعمل الخير مع كل الناس، صديقاً في أعماله، نقياً في إيمانه، يبكر إلى كنيسة المسيح، صائماً كل

حين، مصلياً بلا ملل، دائم التلاوة في اسم ربنا يسوع المسيح باشتياق عظيم ليلاً ونهاراً. يخضع جسده ويجعله عبداً لنفسه، معرضاً عن كل اهتمام عالمي وفكر مادي، فطرح بذلك عنه شهوة الجسد وأبطل وسخ الخطية ونسى أعمال هذا العالم، قائلاً أنها تجوز بسرعة، مشتاقاً إلى الحياة النورانية وميراث الأبرار متزيناً بكل الأعمال الصالحة من قبل موهبة الروح القدس وبالإجمال كان متعبداً للرب بكل قوته حافظاً الوصايا.

قيل لنا أنه وهو حدث كان يصنع كل هذه الأعمال الصالحة السابق ذكرها وأكثر منها.

محاولة تزويجه

حدث أنهم خطبوا له فتاة عذراء لكي تصير له زوجة كناموس الطبيعة. فلما صنعوا العرس كما يجب ودخلوا به إلى الخدر معها وأغلقوا الباب، في الحال قام أبونا البار القديس وبسط يديه إلى الرب وهو يسأله أن يقويه على إتمام قصده الذي نواه. فصلى قائلاً " أيها الرب إله القوات أسجد لك لأنك إلهي منذ كنت في بطن أمي فامنحني يارب أن أكون في طهارة البتولية إلى التمام. وأيضاً أعط عبدتك هذه التي دعيت لي لتستحق نصيب الخمسة العذارى الحكيمات لك المجد إلى الأبد آمين ".

وأما عروسه فكانت تنظر إلى القديس واقفاً ويداه مبسوطتان، وأصابعه العشرة مثل عشرة مصابيح نارية فصارت في خوف ورعدة فدعاها البار وقال لها بوداعة " تقدمي لأكلمك حسب محبة المسيح لخلاص نفسك ونفسي معاً ".

كما قال المسيح في الإنجيل " ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه " (يو ١٥: ١٣) لأنهم ربطونا معاً بالألفة الجسدية لاقتناء أولاد بالحزن، لكن إذا أطعتيني نتآلف معاً بالألفة الروحية لكي نقتني لنا الفضائل لأنهم ربطونا معاً باهتمامات دنيوية فإذا أصغيتي إلى نتحد معاً برباط غير هيولي فلنبتعد عن اللذة الوقتية الجسدية لنتحرر في يوم الدينونة العادلة. وإذا نحن حفظنا بتوليتنا وأجسادنا طاهرة فنحن نستحق الميراث مع الأبرار معاً. لأن الرجل الذي يتزوج أو الإمرأة التي تتزوج يهتم كل واحد منهما كيف يرضي الآخر، أما غير المتزوج فيهتم فيما للرب كيف يرضي الرب (١كو ٧: ١٢). فالأصلح لنا أن نطرح عنا الأرضيات ونطلب السمائيات ونترك عنا الزمان الفاني ونطلب الأبديات. وعوض عرس هذا العالم لنستحق عرس السموات وعوضاً عن الفرح هنا ورائحة الطيب التي للعرس الزائل لنستحق الطيب السمائي ودهن الابتهاج النابع من كنيسة الأبكار وعوض البنين الجسديين نصير نحن بنيناً لله وأحباء للملائكة ونفرح مع الخمسة عذارى

الحكيمات اللاتي زين سرجهن ودخلن العرس مع الختن. فالعالم يزول بسرعة هو ومجده. والذهب يفنى والفضة تصدأ ويفسد جمال الجسد وينحل في القبر. وأما الذي يصنع إرادة الله يدوم إلى الأبد.

فلما سمعت هذه الأقوال عروسه الطوبانية — لأنها طوبانية بالحقيقة من أجل سيرتها الحسنة — صارت في فرح الروح القدس وخرت على الأرض ساجدة لله وقالت المجد لك يا سيدي يسوع المسيح لأنك لم تعدمني بغية نفسي وشهوة قلبي أعطيتها لي ولم ترفض طلبة شفتاي. فعوض التعب أعطيتني راحة. وعوض وجع القلب أعطيتني الفرح. وعوض العبودية وهبتني الحرية. وعوض الفساد ما لا يفسد. وعوض الأرضيات أعطيتني الخيرات السمائية. وعوض الموت أعطيتني الحياة الأبدية. أنرت عليَّ يا سيدي من قبل عبدك هذا الذي اصطفيته منذ كان في بطن أمه ليدعو كثيرين لملكوت السموات ولك المجد إلى الأبد آمين.

وأمسكت بقدمي أبينا القديس وقبلتهما قائلة " مباركة هي الساعة التي التقيت بك فيها، ومبارك اليوم الذي ولدت فيه يا قديس الله. حقاً يا أخي الحبيب قد أحببتني مثل نفسك ودفعت لي الكرامة ومجتني وأحييت نفسي. والآن إن كنت قد قررت في

نفسك يا أخي الحبيب أن تحفظ بتوليتك فأنا أيضاً فرحة أن أحفظ بتوليتي. فأنت يا أخي الحبيب لك السلطان على جسدي كقول بولس الرسول. فإن كنت قد سررت أن تكون بتولاً فأنا مستعدة لطاعتك حتى يوم وفاتي لأن كلماتك الحلوة أدسمت عظامي ودخلت إلى حواس نفسي ووعيتها جيداً بآذان عقلية في قلبي أيضاً هذا ما قال عنه ربنا يسوع المسيح في الإنجيل المقدس من له أذنان للسمع فليسمع (مت ١١: ١٥).

فلما سمع الطوباوي يوأنس كاما هذا الكلام من المرأة الطوبانية فرح بالأكثر ومجد الله. وقررا عهداً مع بعضهما أمام الرب بحفظ بتوليتهما بكل قلبيهما.

بالحقيقة عظيمة هي كرامتك يا أبانا القديس واسمك كالبخور في السماء وعلى الأرض. حسناً قال داود في نبوته ناطقاً بكرامتك قائلاً (اَللهُ مُسْكِنُ الْمُتَوَحِّدِينَ فِي بَيْت) مز ٦٨: ٦ بالحقيقة إن هذا القول قد كمل على هذين المغبوطين.

من ذا الذي ينطق بعظم شجاعة أبينا القديس وطهارة قلبه وثبات أفكاره وصبره العظيم وقيامه العجيب لأنه لا يوجد إنسان في هذا الزمان يستطيع أن يصير هكذا. فأنا متعجب الآن كيف لم تتعبك أفكارك وأنت مع هذه الإمرأة في بيت واحد، من الذي يقترب إلى النار ولم يحترق! من هذا الذي يمشي على

جمر النار مثلك يا أبانا القديس و لم يضعف! (أم ٦: ٢٧ – ٢٨). من الذي غلب الشهوات مثلك لأنك دست على جميع أوجاع الجسد لأنك قد صرت هيكلاً للروح القدس كقول الرب إن الروح يهب حيث يشاء (يو ٣: ٨) الذي هو أنت يا أبانا القديس لهذا أخمدت نار الزنا والرب نفسه قال عنك إن قوماً خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السموات (مت ١٩: ١٢). فليخز الآن الذين يدنسون أجسادهم بالنجاسات وبما هو على خلاف الطبيعة، إذ سمعوا أن أبانا القديس لم يشترك مع زوجته.

وأيضاً بعد ذلك حدثت أعجوبة عجيبة: أمر الله أن تنبت كرمة طلعت في الخدر وأزهرت في البيت كله وأثمرت. فصار هذا برهاناً صادقاً وشهادة لطهارة أبينا القديس الفاضل وفضائله العالية. ولما رأى هذه الأعجوبة أبونا القديس يوأنس كاما وزوجته ثبتا بالأكثر في محبة المسيح. وشكرا الرب ومجداه بتماجيد وتسابيح في كل حين نهاراً وليلاً مسبحين الله بفرح عظيم مثل الملائكة.

إلى برية شيهيت

وحدث بعد هذا الكلام كله أنه نظر في الليل وهو قائم يصلي إنساناً منيراً بكرامة عظيمة. فتكلم معه الرجل قائلاً له "

لا تتكاسل عن الخدمة التي دُعيت إليها من قبل الرب الإله. فعندما تقوم غداً امض إلى شيهيت برية أنبا مكاري وتقصى عن قلاية الأب تروتي Ⲧⲉⲣⲟϯ وترهب عنده وتلبس شكل إسكيم الملائكة. لأن ذلك الشيخ طوباوي وصديق لأنه استحق خلاص نفوس كثيرة ولأن هذه إرادة الرب ".

فلما قام أبونا القديس صباحاً دعا عروسه وقال لها " أودعك يا أختي الصالحة لأني أمرت من قبل الرب أن أمضي وأصير راهباً وأنت أيضاً يا أختي الحبيبة تفرغي لخلاص نفسك، والآن أنا أودعك إلى أن ننظر بعضنا بعضاً في ملكوت السموات".

فلما سمعت هذا الكلام من القديس صارت في غم عظيم وقالت له " أسالك يا سيدي الأخ أن تذكرني في صلاتك بالدير ليدبر لي الرب كل حياتي كمرضاته " فقال لها القديس " تشجعي فإن الله لا يتركك " وودعها.

وخرج من عندها بسلام واندفع في الطريق ونعمة الله تعضده إلى أن جاء إلى المسكن الطاهر الذي لأبينا القديس الناطق بالإلهيات أبو مقار الكلي الفضيلة اللابس الجهاد رئيس

الرهبنة، قانون الفضيلة، عصا الشيخوخة، كمال الكهنوت الذي استحق تطويب المواعيد كتفسير اسمه ([1]).

فسأل فعرفوه قلاية أبونا القديس لابس الصليب تروتي فلما دق الباب كعادة الرهبان فتح له البواب وقال له " عما تسأل يا ابني " فأجاب إن أراد الرب فأنا أريد أن أصير راهباً. أما البواب فأعلم الشيخ عنه ودخل به بفرح.

وكان الرب قد كشف من قبل لأبينا القديس تروتي وعرفه بمجيء أبونا البار إليه. فلما نظره يضيء بنعمة الرب مجد الله وقبله إليه برغبة عظيمة. وقال له " كيف أسرعت إلينا يا ابني " فأجاب أبونا باتضاع ووجهه مطامن إلى أسفل " إني أتيت إلى ها هنا يا أبي القديس تحت ظل صلاتك لتسأل الرب عن خطاياي " وإذا أراد أبونا القديس أبا تروتي أن يجربه فقال له ينبغي للراهب أن يبتعد عن كل شيء رديء، ويتضيق عن كل راحة هذا العالم حتى في كلامه فقال له القديس يوأنس "أنا أرجو بصلاتك أن يستريح قلبك علىَّ (أي أنال نعمة في عينيك)" وهكذا ألبسه الإسكيم المقدس وهو عالم أن هذا الأمر من قبل الله. وأعطى له مكاناً منفرداً ليختلي فيه. وكان يفتقده

([1]) مقار أو مكاري كلمة قبطية Ⲙⲁⲕⲁⲣⲓ معناها طوباوي أو مُطوَّب أو مغبوط.

ويعضده بكلمة الرب وبالخدمة المقدسة التي للسواعي ليصلي في كل ساعة حسب أمر أبينا أبا أغاثون العمودي ([1]). وان يجاهد مقابل الأرواح الشريرة التي للزنا والأوجاع الدنسة ويبطلهم بحرارة النسك.

وأبونا القديس أبا يوأنس كان يقبل إليه جميع كلام الشيخ بطاعة عظيمة لهذه الأقوال العظيمة التي للفضيلة والنسكيات التعبة هذه التي كان يصنعها في الخفاء والعلانية. وأما الشيخ القديس تروتي لما علم فضيلته مجد الله حتى أنه كان يفتخر به عند كل أحد.

وصايا الملاك

وبعد هذا حدث في الليل بينما هو قائم في الصلاة أن أبانا القديس يوأنس أبصر ملاك الرب واقفاً أمامه بمجد وقال له " السلام لك يا عبد الله إذا قمت باكراً أخرج من هذا المكان واذهب إلى قلالي العظيم الكوكب أبا يوأنس ([2]) اذهب إلى ناحية الغرب بعيداً عن جميع المساكن واصنع لك مسكناً هناك

([1]) أبا أغاثون العمودي — هو تلميذ القديسين أبراهام وجرجس واستلم الطقس من القديس يوأنس القمص المعاصر للأنبا بنيامين البطريرك سنة ٦٦٢ ميلادية.

([2]) القمص يوأنس القصير.

وأسكن فيه. هذا ما يقوله الرب الإله إني أعطيك ميراثاً في ذاك الموضع وأجمع حولك شعباً كثيراً وتهديهم إلى المعيشة الملائكية وتصير لهم مرشداً ومخلصاً لنفوسهم وتصير لك شركة مقدسة ويدعى اسمك عليها. ويكون اسمك ذائعاً في كل العالم ويعطيك الرب ميراثاً في البراري لأنك قد سلكت في خطوات الذين عُرفوا على هذا الجبل وصاروا رؤساء الذين سكنوا البرية أي العظيم أبا مكاري وأبا يوأنس وأبا بيشوي ومكسيموس ودوماديوس لأنك قد سلكت في صفاتهم فتكون معهم في نفس النياح (الراحة) في ملكوت السموات وسأسيج حولك كأمر الرب ويُدعى اسمك يوأنس كاما إلى أن تكمل إرادة الرب كلها". ولما قال هذا له ذهب عنه الملاك وظهر لأبيه الروحي وأعلمه بهذا كله.

ولما صار الصباح قام أبونا الصديق وجاء إلى أبينا القديس أبا تروتي وعرفه بما قيل له. قال له أبوه اذهب وأكمل إرادة الرب لأن الرب سيصنع لك كل شيء قاله لك الملاك. وسأل أبونا أبا يوأنس كاما أباه أن يباركه فباركه الشيخ القديس أبا تروتي كما بارك إسحق يعقوب قائلاً " يباركك الرب الإله حتى تكمل إرادته المقدسة آمين ".

ولما أخذ بركة أبيه الطاهر سار مسروراً حتى جاء إلى الموضع الذي قال له عنه الملاك وصنع مغارة في ذاك الموضع وتوحد فيه مرتلاً بهذا المزمور قائلاً " أقمت رجليَّ على صخرة وسهلت خطواتي وجعلت تسبحة جديدة في فمي وتبريكاً لإلهنا آمين " (مز ٤٠: ٢ – ٣).

جهاده

يا لمن ينطق بالفضائل المرتفعة التي لهذا البار والجهادات التي غلب بها هذه التي إذا سمعها أحد يفرح ويتشجع.

وقيل أيضاً عن أبينا القديس أنه كان يتعب في نسكياته أفضل من كثير من آبائنا من أجل شدة تحفظه وشهدوا له أيضاً أنه ارتفع في فضائله كمثل إيليا التشبي.

وقيل أيضاً عنه أنه إذا وقف في الصلاة يحني ركبتيه بجهد عظيم بدون انقطاع كمثل دولاب الساقية (1) حتى كان يتصبب عرق جسده جارياً على رجليه كالماء كمن يستحم فيه ويبلل جسمه كله. لأنه عمل آلاف ميطانيات، فمثل هذه الأمور إن كتبها أحد لا يُصدق من الذين ليس لهم إيمان هؤلاء الذين

(1) Κριοκος ترجمت في سفر إشعياء (يحني كالأسلة رأسه) إش ٥٨: ٥.

يأتي عليهم غضب الله (أف ٥: ٦)، ولكن لأجل ذلك أتكلم أنا هكذا لأنكم جميعاً تشهدون معي لهذه الأمور التي أرويها. بالحقيقة صرت يا أحبائي كمثل واحد في بحر عظيم ما له حد. ولا أتمكن من الوصول إلى الشاطيء من أجل عظم الفضائل التي لأبينا القديس أبا يوأنس كاما. لأن لساني لحمي وشفتي خاطئتان وأنا لا أستطيع أن أقول لكم كرامته. ولكني عندما نظرت شوقكم وكم ترغبون بسرور أن تسمعوا سيرته فأنا أتشجع وقلبي يتعزى بفرح.

بالحقيقة يا أحبائي الشعب المحب للمسيح أنا كمثل نحاس يطن وصنج يرن (١كو ١٣: ١) عندما أتكلم عن فضائل أبينا حامل الإله يوأنس هذا الذي يمكن تشبيه حياته وفضائله كمثل العظيم أنطونيوس وخصوصاً أعماله التي تضيء ككواكب الصباح حتى أني إذا ما تذكرتهم أصير في خوف ودهشة عقل. ولكني سأنطق روحانياً مع النبي الطاهر داود " يارب افتح شفتي ولينطق فمي بتسبحتك " (مز ٥١: ١٥).

وقيل أيضاً عن أبينا القديس أنه مرات كثيرة لم يأكل من السبت إلى السبت، ومرات كان يدخل إلى البرية ليختلي بذاته بتقشفات لا ينطق بها. وأيضاً شهدوا عنه انه ما كان ينام بالليل ولا بالنهار إلا قليل نعاس فقط مستنداً إلى الحائط. ومن بعده

يقوم بسرعة ويزمر بهذا المزمور قائلاً (إني لا أعطي لعيني نوماً ولا أجفاني نعاساً ولا راحة لصدغي حتى أجد موضعاً للرب ومسكناً لإله يعقوب) مز ١٣٢: ٤ — ٥، وبهذا أنارت نفسه وعقله وأضاء وجهه بتقديس الروح القدس الذي استراح فيه لطهارته كما قال ربنا يسوع المسيح مخلصنا الصالح في الإنجيل المقدس " الذي يسمع كلامي ويحفظه هو الذي يحبني، والذي يحبني يحبه أبي ونأتي إليه وعنده نصنع مسكناً " (يو ١٤: ٢١).

وقيل أيضاً عن أبينا القديس يوأنس أن كل الأعمال التي صنعها الإخوة سواء فضيلة أو أي أمر آخر كان يراها في الخفاء ومن أجل هذا أيضاً شاع اسمه في كل موضع.

ظهور العذراء له

من ينطق بعدد الإعلانات والأسرار والرؤى التي كان يراها مرات كثيرة، وطالما رأى مجد الرب على المذبح كأنه نور، وسمع الملائكة يرتلون تسبحة الثلاثة تقديسات أثناء القداس الطاهر.

وقيل أيضاً عن أبينا القديس يوأنس أنه مرات كثيرة ظهرت له أم الله القديسة مريم التي ولدت لنا ربنا يسوع المسيح ملكنا الحقيقي وأعطته السلام وعزته.

وحدث أنه لما كان في ليلة الأحد المقدسة قائماً يصنع صلاته دخلت إليه أم الله القديسة مريم في مجد عظيم لا ينطق به وبصحبتها جماعة من الملائكة. فسقط على وجهه من الخوف فأقامته أم الله وقالت له " السلام لك يا يوأنس حبيب ابني يسوع وأبيه الصالح والروح القدس. تقوى وأثبت لتصير إنساناً شديداً له صبر عظيم محارباً ضد الأرواح المعاندة الشريرة التي تناضل ضدك. هوذا أنا أكون معك حتى تغلبهم جميعاً وطقوسهم الشريرة، حتى تكمل إرادة ابني. وهوذا أثبت عهدي معك وأحفظ رحمتي لك، لأني سأسكن هذا الموضع معك لأني أحببته وليكن لك شركة مقدسة وليصر لك بنين كثيرين ويُدعى اسمك عليهم وتُبنى كنيسة في شركتك (أي ديرك) ويُدعى اسمي عليها. وبركة ابني وسلامه وحفظه تحل في شركتك والملائكة تحوط بديرك ويحافظون على أولادك حتى لا ينقب أحد المفسدين أسوار مسكنك إلى الأبد. إذا سار بنوك في طرقك وصنعوا أوامرك وحفظوا وصاياك ونواميسك وأحبوا بعضهم البعض بالمحبة وبقوا في الطهارة والبر أسكن معهم إلى الأبد وأبارك خدمتهم وعمل يديهم ويرثون الحياة الأبدية معك في ملكوت السموات، ثم أعطته ثلاثة دنانير ذهب عليها علامة الصليب وقالت له خذ هذه وضعها في كيس الدياكونية (أي خدمة الدير) وبركة ابني ستكون فيها إلى الأبد.

ولما قالت هذه الأمور له أعطته السلام وملأته بالقوة ثم اختفت عنه بمجد عظيم. وإن أبانا البار كان في فرح عظيم من أجل الكلام الذي قالته له أم الله القديسة مريم وحلت عليه قوة أعظم. ثم رتل قائلاً " طلبت وجهك يارب. ولوجهك يارب ألتمس، لا تصرف وجهك عني. كن لي معيناً لا تقصني حتى أصنع إرادتك يا ربي وإلهي " (مز ٢٧: ٨ – ٩).

وقيل عنه أيضاً أنه في وقت بناء سور الدير والحصون كانت ملائكة الرب تساعدهم في أعمالهم من قبل أمر الله وبالأكثر كانت قوة الله العالية تساعد على العمل معهم من قبل شفاعة أم الله القديسة مريم. وإن اسم أبونا القديس يوأنس شاع في كل مكان حتى أن كل واحد كان يباركه كنبي وكمعلم في جيله لأنه صلب جسده وشهواته وأفكاره (غل ٥: ٢٤) وجعل كل اهتماماته عبيداً لربنا يسوع المسيح إلهنا صانعاً الأثمار التي للروح القدس بمحبة وفرح وتهليل وسلام وطول أناة ولطف وصلاح وإيمان ووداعة وعفة (غل ٥: ٢٢) هذه كلها لم يصنعها فقط بل كان يعلم كل واحد أن يصنعها قائلاً لهم " الذي يصنعه الإنسان فإياه يحصد أيضاً. فالذي يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً، ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية " (غل ٦: ٧ – ٨).

بالحقيقة يا أبانا القديس إنك قد زرعت وحصدت معاً ثماراً روحانية وثمارك زادت لك مائة وستين وثلاثين ضعفاً (مت ١٣: ٨).

ترهب زوجته

أريد الآن أن أعرفكم يا أحبائي عن حالة زوجته الطوبانية. كان لما خرج أبونا القديس يوأنس من عندها وذهب إلى البرية، أنها قامت بسرعة ووزعت كل ما تمتلك على المساكين وحلقت شعر رأسها ([1]) وصارت راهبة ومارست تقشفات كثيرة وجهاداً عظيماً حتى شاع اسمها جداً واجتمع إليها عذارى كثيرات وصرن راهبات تحت إرشادها. وبنت لهن ديراً وصارت رئيسة عليهن وعاضدتهن بالأعمال الصالحة في طرق الرب وبذلك صارت مرشدة لخلاص نفوس كثيرة للحياة الأبدية. وتزايد عدد العذارى ونعمة الله عضدتهن. وإن المرأة الطوبانية كانت تتعبد للرب وطعنت في أيامها وتنيحت في مرضاة الرب بصلوات أبينا القديس أبا يوأنس.

([1]) الراهبات يحلقن شعر رؤوسهن علامة خلع المجد العالمي وزينة وجمال الجسد وذلك في بدء الرهبنة.

وهوذا هؤلاء الأخر أيضاً قدمهم لابس الإله أبونا يوأنس كقربان للرب. كثيرة هي النفوس التي خلصتها من العدو الشرير الشيطاني بصلواتك المقدسة.

أي لسان لحمي أو أي قلب بشري يقدر أن ينطق بقيامك ومجدك وكرامتك ودوامك مع الله. وإذا كان واحد قلبه مثل الملائكة وعقله مثل غير المتجسدين فإنه لا يستطيع أن يخبر بكمال كرامتك والمجد الذي أعطاه لك الرب في السماء وعلى الأرض كما قال ربنا يسوع المسيح في الإنجيل المقدس " الذي يمجدني أنا أمجده " من أجل هذا أريد أن أسكت لكني أخاف أن أصير مثل العبد الشرير الذي أخفى فضة سيده في الأرض من أجل هذا أعود وأكمل الكلام وأخبر أموراً أخرى قليلة عن أعماله الصالحة وانتصاراته التي لا حد لها وجهاداته هذه التي إذا ذكرناها يطول الحديث جداً. ولكننا سنترك الكثير جانباً ونختار قليلاً منها لتذكيركم يا أحبائي، إنه صار مشهوراً في البرية المقدسة ومعلماً في جيله كبولس الذي صار ثالث عشر الرسل.

وبعد هذه الأمور لما كان أبونا القديس يوأنس ساكناً في المغارة يتلو في الاسم المخلص الذي لربنا يسوع المسيح إلهنا بصلوات لا تنقطع وطلبات خفية لا ينطق بها، لأنه لم يعرف

أحد كمال الأتعاب التي احتملها لأنه هرب من المجد البشري الباطل.

فلما رأى الشياطين الأشرار كماله اشتدوا مقابله بعساكرهم وقواهم المظلمة ظانين أن يسقطوه من علو فضيلته فحاربوا حواسه بأفكار شريرة لا تبطل نهاراً وليلاً ويرعبونه بخيالات.

ولكن الرجل الصالح طاردهم كلهم بعلامة الصليب المقدسة. ولما رأى الرب عظم احتماله أراحه من كل الأفكار.

فلما سمع كثيرون عنه وعن فضائله اجتمع إليه جمع كبير وسألوه أن يلبسهم إسكيم الرهبنة وصار له بنين كثيرين وجمعهم في شركة (كونونيا) وبنى لهم مسكناً. وبنوا لهم ديراً عظيماً واسعاً، وحصوناً عالية وأسواراً قوية.

وبدأ الإخوة يزدادون أكثر فأكثر فعلمهم ما لخلاص نفوسهم حتى يحفظوا وحدانية الإيمان المستقيم ويحبوا الصلاة والصوم ويحبوا بعضهم بعضاً ويحفظوا طهارة أجسادهم ونفوسهم، ويكونوا محبين للمساكين ومحبين للصدقة ويحبون الوحدة ويضعون أمامهم مخافة الرب كل حين.

ورتب لهم قوانين ونواميس مقدسة، ورتب لهم مكاناً ليجتمعوا فيه في نصف الليل ويرتلوا الأبصلمودية([1]) والألحان الروحانية حتى يشرق النور. وأمرهم أيضاً أن يصلي كل واحد منهم بمفرده. وبهذه النظم وغيرها التي سلمها إليهم ملأهم حرارة الشوق الإلهي.

ظهور أثناسيوس الرسولي له

وقيل أيضاً عن أبينا القديس أنه فيما هو واقف يزمر (يرتل المزامير) مع الإخوة في الليل ظهر له أبونا أبا أثناسيوس الرسولي وقال له السلام لك أيها العبد الصالح والأمين لله. السلام لجميع أبنائك ولأولئك الذين يطيعون نواميسك. رائحة صلواتك الزكية صعدت إلى حضرة الله تذكاراً لك إلى الأبد، واسمك يدوم إلى كل الأجيال. فلما قال أبونا أبا أثناسيوس هذه الأقوال له اختفى عنه. لذلك فرح القديس وأمر أولاده أن يذكروا اسم أبينا أبا أثناسيوس في تسبحة الثلاث فتية القديسين وأنهم نفذوا أمره لمجد الله.

([1]) الأبصلمودية Ⲯⲁⲗⲙⲟⲩⲇⲓⲁ كتاب التسبحة التي ترتلها الكنيسة في الليل والنهار قبل رفع بخور عشية وباكر وقبل القداس وفي مناسبات أخرى وسُميت كذلك نسبة إلى Ⲯⲁⲗⲙⲟⲥ مزمور.

وجعل لأولاده الأول طقساً (نظاماً) خاصاً في التلمذة. وهذه أسماؤهم: أبونا شنوده كمال اجتماع هذا المجمع، وأبي أنبا مرقس خليفته من بعده، وأبي كولوتس وأبي الشماس جورجي وأبي أنطوني وأبي جورجي الذي شُهد لهم أنهم استحقوا نعمة الروح القدس. وإذا ابتدأ أحد أن يسرد كمال فضائلهم فإن الحديث يطول جداً.

رسامته قساً

وبعد هذه الأمور أمسكوا بأبينا القديس ورسموه قساً بغير هواه فلما كان واقفاً أمام المذبح وبدأ القداس الطاهر حل مجد الله على المذبح مثل النار. فلما نظر أبونا القديس هذا المنظر مجد الله.

إلى الصعيد

وبعد هذه الأمور عرف أبونا القديس بواسطة الملاك الدائم معه أنه يجب أن يمضي إلى النواحي القبلية (الصعيد) لخلاص نفوس كثيرة أخرى مثل أبينا أبا يوأنس القصير وأبينا أبا بيشوي المنيرين العظيمين. فدعى أبونا القديس أحد أبنائه الذي هو أبونا شنوده خليفته من بعده وقال له يا ابني إني دعيت من قبل الرب إلى خدمة، وأنا أسلم الإخوة إليك لتقف ههنا وتدبر الإخوة إلى أن أرجع إليك بإرادة الله.

وبنعمة الله رحل إلى الصعيد، تقوده معونة الله فوجد ديراً وسكن فيه.[1] فمن ينطق بالجهادات التي صنعها هناك؟ ولما رأى أناس ذلك الموضع فضائله أتى إليه كثيرون وصاروا له أبناء ودعى اسم ذلك الدير " أنبا يوأنس كاما " إلى اليوم.

ولما كان تلميذه مطيعاً لأبيه بقى قائماً على رجليه كل الأيام التي قضاها أبونا في الصعيد واقفاً في المكان الذي تركه فيه أبونا عندما رحل عنه صابراً ومدبراً المسكن حتى تورم جسده وصار مثل العمود وكان الإخوة يسألونه أن يجلس ليستريح فلم يشاء، فأحاطه بحجارة حوله واستمر واقفاً بطاعة عظيمة. فلما رأى الرب إيمان التلميذ أرسل الملاك وأمسك بيد أبينا أبا يوأنس وجابه إلى شيهيت بقوة الله. وأعلمه عن تلميذه وأخبره أيضاً قائلاً قرب اليوم الذي تستريح فيه من جميع أتعابك وتستريح مع جميع القديسين. وفي الحال اختفى الملاك عنه. ولما جاء الرجل البار إلى حيث التلميذ قائماً قال له حسناً فعلت يا ابني المطيع ولمس جسده فشفاه. فقام للحال وسجد له فباركه أبوه.

(١) الدير المذكور هو دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس على الشاطيء الشرقي للنيل والمسمى " دير الميمون " وهو أول مكان سكن فيه القديس الأنبا أنطونيوس وهو الآن في قرية دير الميمون في جنوب محافظة الجيزة.

ولما علم الإخوة اجتمعوا حوله وتباركوا منه. لأنهم أحبوه جداً لأنه كان لهم معزياً ومعلماً لخلاص نفوسهم وصنع تقشفات عظيمة في الخفاء.

ومن بعد هذه الأمور سُر الملك المسيح أن ينيحه من جميع أتعابه وينقله من هذا العالم المتلئ أتعاباً وأخطاراً وشقاء ويأخذه إلى أورشليم السمائية ومواضع النياح السنيرة والمنازل العلوية والمظلات المرتفعة وعوضاً عن نسكه وجهاده يعطيه حياة أبدية في أرض الحياة.

وافتقده الرب بحمى خفيفة ولما رقد كان يبارك الرب. فاجتمع إليه جميع أولاده وقالوا له قل لنا كلمة يا أبانا فقال لهم لا تتجادلوا مع هرطيقي ولا تدخلوا بيتاً مع امرأة ولا تتكلوا على الرؤساء ولا تأخذوا لكم قنية بل ليكفيكم شغل أيديكم. فلما قال هذه الأمور رفع عينيه ورأى الجموع التي أتت من أجله متسربلة بالمجد وجماعة عظيمة من الملائكة وجماعة الصديقين الذين سكنوا البرية هؤلاء الذين اقتفى آثارهم.

وبتهليل وفرح الروح القدس فتح فاه وأسلم روحه في يدي الرب فأخذت نفسه إلى السماء بواسطة الملائكة الذين أتوا من

أجله وأخذ من الرب العربون السماوي والجوائز العلوية وأخذ ميراث جميع القديسين.

وللوقت كفنوا جسده المقدس بكرامة عظيمة وفاح بخور طيب مثل العنبر فحملوه وهم يرتلون أمامه حتى أتوا به إلى شرق كنيسة أبينا القديس أبا يوأنس القمص وعملوا له قبراً تحت الأرض ووضعوه فيه. وبنوا عليه ضريحاً ظاهراً وصار عوناً لكل من يصلي فيه بإيمان.

واليوم الذي تنيح فيه القديس أبونا يوحنا كان اليوم الخامس والعشرين من شهر كيهك. بركته المقدسة فلتكن معنا آمين.

وفاضت نعمة الرب على أبنائه فتكاثروا وتضاعفوا وكانت بركة عظيمة في دياكونتهم ([1]) وأمن وقيام (في الفضيلة) في شركتهم المقدسة بصلوات أبينا القديس أبا يوأنس كاملا، ولم تفرغ رحمة الله الكائنة معهم إلى الأبد.

ملاحظة :(هنا تبدأ الملزمة الخامسة المفقودة من النسختين القبطيتين، فأخذناهما من النسختين العربيتين.)

([1]) دياكونية ΔΙΑΚΟΝΙΑ : مكان الخدمة ويشمل مخازن الدير ومعاجنه ومطابخه وأشغاله المختلفة.

وصار أبونا القديس شنوده خليفة من بعده رئيساً على الإخوة وكان أبونا شنوده باراً لابساً الإله قادراً على كلمة التعليم وطريق الرب.

وتقتضيني الضرورة أن أقول هذه القصة العجيبة التي عرفونا بها من قبل شهود ثقاة، كرامة لأبينا القديس أنبا يوأنس كاما.

رؤيا السائح السرياني

كان شيخ سائح سرياني ساكن في أرض سوريا، قوي في السياحة ذائع الصيت في الشرق. هذا نظر في رؤيا كأنه خُطف إلى السموات وأوقفوه أمام كرسي الله :نظر ألوف ألوف وربوات ربوات ملائكة يسبحون الله ، ثم نظر راهبين شيخين قائمين ببهاء عظيم. فلما نظرهم الشيخ بُهتَ من أجلهم، وتقدم إلى ملاك وسأله قائلاً أنا أسالك يا سيدي أما تخبرني من هما هذان الراهبان اللابسان هذا المجد وهما قائمان في وسط الملائكة. فقال له هذا الرجل الطويل هو أنبا مقار أب رهبان جبل شيهيت، وهذا الآخر الذي يمشي معه هو أنبا يوأنس كاما هذا الذي سار في فضائله.

فلما استيقظ من الرؤيا كان في تعجب عظيم مما رآه ثم قال لنفسه أقوم أمضي إلى مصر وأصعد إلى جبل شيهيت وأسجد في أديرة هؤلاء الصديقين. ولوقته رسم صورة الاثنين في أيقونة

كالمثال الذي نظره وأحضرها معه إلى مصر. فلما أتى إلى دير العظيم رئيس الرهبان القديس أبو مقار صلى فيه وسجد على الأجساد المقدسة التي للثلاث مقارات (١) ومن هناك جاء إلى قلالي أبينا أنبا يوأنس القمص وسجد فيها ثم بعد ذلك جاء إلى الشركة المقدسة التي لأبينا القديس أنبا يوانس كاما وصلى في مجمعهم المقدس.

واسم ذلك الشيخ السرياني ماروتا لأن هكذا اسمه بالسرياني. وأنه أخبر الإخوة بما رأى في مدينته وآراهم الأيقونة التي صورها وهي موضوعة في ديره إلى اليوم.

فلما نظر أعمالهم وجهادهم وأبصلموديتهم (أي تسبيحهم) أقام عندهم إلى يوم نياحته وخلف لهم ثوب ليف كان يلبسه في وقت صلاته وكان يضيق به على جسده.

---

(١) وهم ١ – القديس أبو مقار المصري الكبير أب رهبان برية شيهيت. ٢ – وأبو مقار الإسكندري. ٣ – وأبو مقار أسقف ادكو

وأنا أخبركم كيف رتبوا هذه الشركة المقدسة والكنيسة الطاهرة من قبل أوامر الله. لما كان في أيام أبينا القديس الأنبا مكاريوس ([1]) رئيس أساقفة الإسكندرية حُرك من قبل الله مثل أبينا القديس أنبا بنيامين ([2]) ليؤسس لهم كنيسة. فعندما نظر كثرة الإخوة وأن الله باركهم فصاروا أكثر من ثلاثمائة راهب في عددهم وكان فيهم شيوخ يتعبون في صعودهم إلى الكنيسة الكبرى التي لأبينا لابس الله أنبا يوأنس القمص لتناول القربان منها. وأن رئيس الأساقفة الأنبا مكاريوس طلع إلى قلالي أبينا أنبا يوأنس القمص بعد عيد الغطاس المقدس وأخذ معه كهنة ودخل إلى المجمع المقدس الذي لأبينا أنبا يوأنس كاما. فلما نظر هذه الشركة فرح جداً وجاء إلى موضع الكنيسة هذه التي سبق ووعد بها ثم كرسها في ثامن عشر طوبة على اسم القديسة مرتمريم ورسم لهم كهنة ليخدموا الكنيسة المقدسة. وكان هذا من قبل أمر الله تعالى مثلما كرَّس أبونا أنبا بنيامين الكنيسة الكبرى بين قلالي دير أبو مقار.

([1]) الأنبا مكاريوس الأول البطريرك ٥٩ (٢٧ مارس ٩٣٢ – ٢٠ مارس ٩٥٢م).

([2]) الأنبا بنيامين الأول (٦٢ – ٦٦٢م) الذي عاصر دخول العرب.

وإن هذه الكنيسة وهذه الشركة المقدسة التي لأبينا أنبا يوأنس كاما صارت الخامسة في ترتيب الأديرة بشيهيت لأن الرب قد سبق وأعطى عهدين ثابتين، في العهد العتيق من قبل أنبيائه فموسى هو الأول دفع له الرب الناموس وقال له الرب تجعل أربعة مدن لتكون ملجأ للنفوس المتضايقة. بالحقيقة صارت الأربعة أديرة التي في شيهيت ميناء خلاص للمضطهدين في الخطية وموت الشيطان. ثم قال له اصنع لي قبة (خيمة الاجتماع). واصنع في القبة خمسة أروقة واصنع هيكلاً واجعل على الهيكل مائدة واعمل خمسة عمد تحمل المائدة وخمسة كهنة يخدمون فيها جميعاً فلنفهم ونعقل كلام الكتب فنجد إثبات مطلبنا عن هذه الشركة المقدسة التي لأبينا أنبا يوأنس كاما لأنها صارت خامسة في جملة الأديرة كقول الرب الإله، لأنه قال لموسى عن الأربعة مدن علامة الأربعة أديرة. التي هي دير أبينا القديس أنبا مقار وأبينا أنبا يحنس (القصير) وأبينا أنبا بيشوي وآبائنا الروم ([1]) ثم قال من أجل الخمسة أروقة تعطي الشركة

([1]) أي القديسان مكسيموس ودوماديوس ابنا لاونديوس إمبراطور الدولة الرومانية اللذان ترهبا في برية شيهيت وبني دير على اسمهما هو دير البرموس الآن إذ أن معنى براموس Πιρωμεος أي الروم.

المقدسة. وأنا أظن أن هؤلاء الأبرار الذين ذكرنا أسماءهم قد صاروا عمداً وجواهر مضيئة جداً في كنائس الأرثوذكس مزينة لهياكل الله في كل موضع في المسكونة.

اسمعوا شهادة اخرى صادقة تشهد لهذه الشركة المقدسة التي لأبينا القديس يوأنس كاما: يقول إشعياء النبي أيضاً أنه نظر في البدء مجد الله فتنبأ عن الذي سيكون وقال، هكذا ليكن في الزمان الأخير خمس مدن في كورة مصر تتكلم بلغة واحدة معاً (إش ١٩: ١٨). فأعطى لنا رمزاً لهذه الخمس أديرة المقدسة التي ثبتها الله في جبل شيهيت كإرادته المقدسة وقال ليتكلموا بلغة واحدة. وما هذه اللغة الواحدة إلا الإيمان المستقيم الأرثوذكسي هذا الذي بشروا به في الأديرة المقدسة فاعترفنا بتثليث مقدس في وحدانية، ووحدانية في تثليث، متساوية بلا افتراق ولا تغيير مثلما أمرنا آباؤنا القديسون معلمو الكنيسة.

تاريخ السيرة

هوذا يا أحبائي قد طيبت قلوبكم بإثبات الشركة المقدسة من كلام الرب هذا الذي قطعه مع عبده بواسطة الملاك الذي ظهر له في البداية وبشره بما سيكون. وأكمل العهد الذي قطعته معه القديسة مرتمريم لعل واحد من غير المؤمنين يقول بحسد كيف جسرت أنت أن تبشرنا بما سبق وكتبه لنا آباؤنا الأولون،

لكن اسمعني لكي أطيب قلبك وأعلم أن الكلام الذي أقوله ليس كذباً بل هو حق، لأن شيوخاً ثقاة قد أخبرونا بسيرة أبينا الطوباوي لأنهم قد سبقوا وكتبوها بواسطة تلميذه أبونا شنوده. هذا كان عارفاً بجميع فضائله. وهو صادق في جميع شهاداته.

لكن سيرة أبينا الطوباوي كانت محفوظة في قلوب الإخوة يقرأها الشيوخ حفظاً وتبشيراً للذين يأتون بعدهم حتى وصلت إلينا وشهدوا لنا من أجل أبينا الصديق وأخذنا كلام تبشيرهم لأننا نعلم أن شهادتهم حق.

وكتبنا لكم جزءاً من سيرته لنذكركم بقليل من فضائله.

وإن أبانا القديس أبا يوأنس كاما ليسر بنا بعظم تذكاره المبارك وإن كان غير ناقص في شيء من الفضائل من أجل كمال سيرته إلا إنها بقيت مخفية عندما غسلوها إلى زمان مسكنتي. لأننا وجدناها مكتوبة في كتب قديمة مثل ناموس الرب عندما كان مخفياً في أيام يورام ملك إسرائيل إلى زمان يوشيا ([1])

([1]) أحد ملوك إسرائيل الأتقياء الذي أزال عبادة الأوثان، ولتقواه وجد حلقيا الكاهن في أيامه نسخة من شريعة موسى (أخبار الأيام الثاني ٣٤: ١٤) وقرأ الملك على الشعب سفر الشريعة في بيت الرب واحتفل بعيد الفصح احتفالاً لم يكن له مثال منذ أيام صموئيل النبي (٢أي ٢٥: ١٨).

وفصح الرب لم يبشروا به من أيام القضاة إلى ذلك الزمان عندما وجد حلقيا الكاهن وشافان المعلم (الكاتب) كتاب الناموس فأخبروا يوشيا الملك فآمن بإله إسرائيل وصنعوا الفصح مرة أخرى.

وأيضاً مكتوب عن سفر ناموس الرب أنهم أحرقوه في الزمان الذي خرب فيه الكلدانيون أورشليم وبعد زمن طويل فسره ([١]) عزرا الكاتب ([٢]) وكتبه مرة أخرى عندما حل عليه الروح القدس.

بالحقيقة يا أحبائي نحن نفرح اليوم ونسر بتذكار أبينا القديس. فإذا كان شعب إسرائيل فرحوا عندما عاد لهم تابوت العهد من أرض الأمميين([٣])، فكم أحرى أن نفرح نحن عندما وجدنا سيرة أبينا القديس. وإن كان التابوت ضرب الأمميين وإلههم داجون (١صم ٥: ٣) هكذا اسم سيرة أبينا أهلكت إبليس وشياطينه الخبيثة، وإن كان الرب بارك بيت عميناداب

([١]) ترجم عزرا أسفار الشريعة العبرانية إلى الكلدانية (أي الأرامية).

([٢]) هنا انتهت الملزمة المفقودة وعدنا إلى النسخ القبطية ثانية.

([٣]) استولى عليه الفلسطينيون عندما انهزم بنو إسرائيل بقرب أفيق (١صم ٤) فأنزل الله عليهم بلايا حتى اضطروا لإرجاعه إلى أرض إسرائيل (١صم ٦، ٧).

عندما أحضروا التابوت إلى بيته (١صم ٧) فهكذا الرب يبارك كل من يكتب سيرة أبينا ويجعلها في بيته بإيمان وكذلك الذي يسمعها.

ولما كنا قد قلنا ما يكفي محبتكم أيها الأحباء فتشهدون ببراهين صادقة أنه بإرادة الرب قد أظهر لنا سيرة أبينا لابس الإله في هذا الزمان ليكون لنا عزاء فلم يتركها الله مخفية تحت المكيال بل وضعها على المنارة الذهبية وأشعة نورها وصلت إلى أقصاء الأرض كلها.

محاولة السطو على الدير

اسمعوا الآن لأقول لكم عن هذه الأعجوبة التي أُخبرنا بها والتي حدثت بعد نياحة أبينا القديس في زمن المجاعة العظيمة التي كانت سنة ٦٨٢ للشهداء الأطهار (٩٦٦م) حدثت ضيقة عظيمة على الأرض كلها من أجل الجوع الكائن. فاجتمع أناس غدارون معاً وعملوا عصابة ليسرقوا وينهبوا الشركة التي لأبينا القديس. فلما أخذوا سلالم ووضعوها على السور حتى يترلوا ويذبحوا الشيوخ وينجسوا المكان المقدس. فيا للأعجوبة العظيمة التي حدثت حينئذ! ففجأة ظهرت تنانين عظيمة سوداء مخيفة في شكلها وهجمت عليهم لتبتلعهم وفي الحال خافوا ونزلوا بسرعة من هناك ومضوا إلى مواضع كثيرة في السور فنظروا التنانين

تتابعهم. فللحال علموا أنها قوة الله التي تحرسهم (الرهبان) فرحلوا بخوف. ولما استيقظوا في الصباح جاءوا إلى الدير وأخبروا الإخوة بهذه الأمور التي حاولوا أن يصنعوها وما رأوه وثبتوا معهم سلامة إلى الأبد.

ولما سمع الإخوة هذه الأمور شكروا الله الذي أنقذهم من هذا الموت المر وهذه النعمة كائنة لهم بشفاعة والدة الإله الطاهرة مريم مجداً لاسم أبينا القديس بسبب العهد الذي قطعته معه قائلة إني سأكون مع بنيك وأخلصهم من أجلك إلى النهاية. وقد حققت له ذلك بالعمل وبكلام الحق.

وكثيرون منهم يشهدون أنها ظهرت لهم وجهاً لوجه وأعلمتهم بأسرار عظيمة وبالأكثر أبونا شنوده هذا الذي صار خليفة أبينا الطوباوي وصار رئيساً على الشركة.

خاتمة

بالحقيقة أن زماني كله وبقية سنيي لا تكفيني لأخبر بجزء بسيط من مجدك يا سيدي الأب، لأن عقلي ولساني لا يستطيعان أن ينطقا بكرامتك يا حبيب المسيح المغبوط من الروح القدس، كنت خليل الله مثل إبراهيم وقدمت جسدك قرباناً له مثل

إسحق، (نظرت الله وجهاً لوجه مثل يعقوب)[١] كنت حكيماً مثل يوسف، وأعطاك الرب نصيباً مثل أفرايم ومنسى، ورأيت مجد الله مثل موسى، أعطيت ناموساً لشعبك مثله وائتمنك الرب للكهنوت مثل هارون، طلبت عن شعبك مثل فينحاس ([٢]) أتى عليك كلام الرب مثل إرميا النبي ([٣]) امتلأت من الروح القدس كالزسل، وطئت جميع قوة العدو، ووطئت جميع رغباته، وشتت جميع مؤامراته، وأسقطت حدة الشهوة وكل مكائد شهواته التي تتشكل بأشكال مختلفة خدع بها كثيرين بالزنا الذي يصارع الجسد. ولكنك يا أبانا جعلت أعضاءك هيكلاً للروح القدس من أجل نقائك. لأنك طهرت حواسك الخمس وكنت أميناً مع نفسك، أخذت الخمس وزنات وتاجرت بها فربحت خمس وزنات. فأعطيتها لربك بفرح فكرمك في وسط زملائك ومنحك عشر مراتب مبجلة مملوءة مجداً في السماء.

([١]) هذه الجملة موجودة في النسخ العربية وغير موجودة في القبطية.

([٢]) فينحاس الكاهن حفيد هارون، ردت غيرته سخط الله عن إسرائيل فلم يفنهم ووعده الله باستمرار الكهنوت في أولاده (عد ٢٥: ٦ — ١٥).

([٣]) ابتداء من هذا الكلام غير موجود في النسخ العربية ولكنه في القبطية.

قد أزهرت كالنخلة ونموت كأرز لبنان (مز ٩٢: ١٢) ورائحتك فاحت خارجاً كالسوسن من طهر بتوليتك، أصبحت رئيساً لأولئك الصحراويين ورئيس طغمة رهبان، صرت ينبوع صلاح وواضع نواميس الفضيلة، كنت ميناء خلاص لنفوس كثيرة وصرت حكيماً ومعلماً ومرشداً لأناس كثيرين، كنت إسرائيلياً لا غش فيه (يو ١: ٤٧)، صرت بخوراً زكياً مقبولاً أمام الله وملائكته. بمن أشبهك! وبماذا أكرمك! يا أبانا القديس؟ بالحقيقة أنت مثل ناقوس ذهبي، يفرح الناس عندما يدق. بالحقيقة كنت نوراً يشع بقوة في السماء وعلى الأرض. كنت وردة زكية الرائحة في الكنائس الأرثوذكسية، ويخبر عن كرامتك العلماء المنتخبون.

لذلك أتضرع إليك يا سيدي الأب تقبل من يدي تقدمتي الصغيرة فأنا فقير ولكن احسبني مع الأرملة التي ألقت فلسين في الخزانة، لأني عديم العلم وعامي وغير متدرب على الحديث لذلك أذكرني أمام ربنا يسوع المسيح، حتى يغفر لي أنا الحقير خطاياي الكثيرة وهفوات لساني.

خبر نقل جسد القديس الأنبا يحنس كاما إلى دير السيدة العذراء السريان ببرية شيهيت

في يوم ٢١ هاتور من سنة ١٢٣٢ للشهداء (١٥١٥ م) تم نقل جسد القديس العظيم الأنبا يحنس كاما القس[1] من ديره الكائن ببركة الأديرة والتي تبعد عن دير القديس الأنبا بيشوى بحوالى ثلاثة كيلومترات إلى ناحية الجنوب الشرقي وكان يوجد بها :

- ✥ دير القديس العظيم الأنبا يحنس القصير وهو أكبرها.
- ✥ دير القديس العظيم الأنبا يحنس كاما القس.
- ✥ دير الحبش.
- ✥ دير الأرمن.
- ✥ كذلك جبانة (طافوس) الآباء الرهبان.

وقد تخربت هذه الأديرة في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر بسبب تناقص عدد رهبانها جداً وهجوم النمل الأبيض على أخشابها، وعدم مقدرة الرهبان

[1] وقد وجد هذا الخبر في حاشية بمخطوطة سنكسار جزء أول (من توت إلى أمشير) بمكتبة دير البرموس العامر تحت رقم ٦ / ٢٢١.

القليلين جداً والفقراء جداً على تجديدها. ومازالت أطلال هذه الأديرة باقية وظاهرة حتى الآن.

جاء ما تبقى من رهبان دير الأنبا يحنس كاما إلى دير السيدة العذراء (السريان) ومعهم رفات أبيهم الأنبا يحنس كاما في أنبوبة خشبية ووضعوه في مقصورة بالدير، ومعهم كذلك الحجر الرخامي المدون عليه باللغة القبطية تاريخ نياحة هذا القديس ٢٥ كيهك سنة ٥٧٥ للشهداء (٨٥٩ م) وثبتوه في حائط الخورس الأول بكنيسة السيدة العذراء السريان ومازال موجوداً بها للآن.

بركة هذا القديس العظيم فلتكن معنا
ولربنا المجد دائماً أبدياً آمين.

وصف موجز لدير السيدة العذراء المعروف بدير السريان، الذي يوجد به جسد الأنبا يحنس كاما.

يقع دير السيدة العذراء المعروف الآن بدير السريان في الصحراء الغربية بوادي النطرون في منطقة البحيرات الممتدة بطول الوادي حوالي الثلاثين كيلو متراً وهي منطقة منخفضة يبلغ مدى انخفاضها عند سطح ماء البحيرات إلى ٢٢ متراً تحت سطح البحر.

ومما يذكر عن هذه الصحراء أنها كانت قديماً قطراً قائماً بذاته له كيانه السياسي، وكان سكانه في نزاع مستمر مع سكان مصر حتى أنهم كانوا يغيرون على البلاد ويجتاحون الأديرة في طريقهم، وحدث مرة أنهم احتلوا الجزء الغربي من مديرية البحيرة في إحدى غاراتهم. غير أنه مع مرور الزمن ضعفت سطوتهم وتغلب المصريون عليهم وضموا كل منطقة الصحراء الغربية المتاخمة لحدود البلاد بطولها إلى أملاك الدولة.

وكان يسمى هذا الوادي في أيام البطالسة " سخت همام " ومعناه حقل الملح وقد سمى العرب والقبط وادي النطرون الحالي بعدة أسماء منها:

برية الإسقيط وهي كلمة قبطية ⲀⲤⲔⲎⲦⲎⲤ أي الناسك وبرية شيهيت وهي كلمة قبطية ϢⲒϨⲎⲦ أي ميزان القلوب. هذان الاسمان يطلقان على جزء خاص من الوادي وهي المنطقة التي يقع فيها دير البرموس الآن وأول من عمر هذه المنطقة هو القديس أبو مقار المصري المدعو الكبير في القرن الرابع الميلادي الذي بعد أن عمر هذه المنطقة انحدر شرقاً نحو ٢٠ كيلو متراً وعمر منطقة أخرى وابتنى بيعة عظيمة وعدة قلالي المعروفة الآن بدير أبو مقار (١).

أما دير السريان فكما سبق القول أنه يقع في منطقة البحيرات، وهو على اسم السيدة العذراء ولكنه دُعي دير السريان لأنه كان قبلاً يسكنه بعض الرهبان السريان الجنس مع رهبان أقباط، ولكن غير معلوم بالضبط الوقت الذي سكنه فيه الرهبان السريان ولكن يرجح أنه كان حوالي منتصف القرن التاسع الميلادي (٢) أو بعد هذا بقليل (٣).

ويذكر " إيفلين هوايت " أن دير السريان كان مستقلاً في إدارته حوالي القرن الثامن الميلادي وعلى أي حال فإنه من المحقق

(١) أنظر رسالة مار مينا عن الرهبنة القبطية مقالة الأديرة الغربية.

(٢) قارن موتريه صفحة ٥.

(٣) كتاب وادي النطرون صفحة ٧٠ لمؤلفه سمو الأمير عمر طوسون.

أن هذه المنطقة كانت عامرة بالرهبان الأجانب أي غير المصريين من حبش وأرمن (١) الذين نزحوا من بلادهم ليرتشفوا من نبع أقباط الإسقيط الذين ملأ صيتهم الأفاق. واستحسنوا البقاء في هذه الأراضي المقدسة لما وجدوه من حسن ضيافة وتسامح، وقد ورد في التاريخ أن المطران قرياقوس السرياني كان رئيساً لهذا الدير سنة ١٥١٧م وقد اهتم بتجديد أسواره وكنيسته التي كانت تداعت وخرب جانب عظيم منها (٢).

ويشاهد في البقعة القائم بها دير السريان الآن على بعد ٣ كيلو متراً بقايا الأبنية الكثيرة التي تدل بوضوح على كثرة عدد الأديرة التي كان يسكنها هؤلاء الرهبان النزلاء ومنها دير إلياس أو دير الحبش ودير الأرمن التي استدل عليها العالم البحاثة سمو الأمير عمر طوسون وأقام أعمدة من الأسمنت المسلح على أطلال هذه الأديرة وعلى كل عمود منها اسم الدير الذي استدل عليه على لوحة من البرونز باللغة العربية والفرنسية ومن بين هذه الأديرة الخربة يوجد آثار دير عظيم استدل عليه هو دير أنبا يحنس كاما الذي أسس في زمن سابق ربما يكون في القرن التاسع وبلغت مساحته ١٥٤٠٠ متر مربع والذي ظل قائماً إلى

(١) كتاب وادي النطرون لسمو الأمير صفحة ٥٧.

(٢) الخريدة النفيسة جزء ٢ صفحة ٤٥٥.

ما بعد منتصف القرن الرابع عشر وقد ذُكر أن أنبا غبريال الرابع زار هذا الدير سنة ١٣٧٤م بعد ما كرس الميرون في دير أبو مقار ([1]).

وقد جئنا على ذكر خرائب دير أبو يحنس كاما حتى لا يلتبس الأمر على القراء فلا يخلطون بين دير أبو يحنس كاما الذي كان أصلاً مقراً للقديس أثناء حياته ودير السيدة العذراء السريان الذي يوجد به رفات القديس أنبا يحنس كاما الآن.

ومما روته التقاليد أنه بعد خراب دير القديس يحنس كاما التجأ الرهبان الذين كانوا يقطنون فيه إلى دير السريان الحالي كذلك مع الأحباش إذ أنه لما زار " كيرزون " أديرة وادي النطرون سنة ١٨٣٧م نزل في دير السريان كما ورد في كتاب (زيارات أديرة الشرق ص ٦٤) ومما قاله " كيرزون " في هذا الصدد أنه كان يوجد بهذا الدير رهبان أحباش أيضاً وقيل له حينئذ أن هؤلاء جاءوا بعد خراب ديرهم إلى دير السريان ونزلوا به ([2]).

كل هذا يفيد أن دير السريان الحالي ابتداء من حوالي القرن الثامن يضم بين جدرانه رهبان الأديرة التي بجواره والتي خربت

([1]) راجع تحفة السائلين صفحة ١٣٧ — ١٣٨.

([2]) كتاب وادي النطرون ص ٩٢.

إما بعوامل الزمن أو من سوء تحصينها ضد غارات البربر وبالرغم من أن دير السريان هو أصغر الأديرة القبطية العامرة الآن مساحة إلا انه يعد أجمل الأديرة قاطبة بما اختص به من مباني ونقوش ورسوم أثرية غاية في الجمال إذ أنها ذات شأن عظيم من الوجهتين الأثرية والفنية.

والدير مستطيل الشكل طول الضلع الأكبر ثلاثة أمثال الضلع الأصغر منه بعكس غيره من الأديرة التي تكاد تكون مربعة الشكل تقريباً.

ويقولون أنه بني على أن يكون مثال لسفينة نوح وهو فعلاً يترائى للقدم نحوه هكذا فالحصن الشامخ الذي يتصدره يظهر كأنه قلع لتلك السفينة كما أنه محدب المؤخرة على مثال الدفة والرمال تتاخم أسواره كأمواج البحر التي تتلاطم على جانبي السفينة.

واتساع دير السريان الأثري فدان و١٣ قيراطاً وطوله من الشرق إلى الغرب ١٤٦ متراً وعرضه من الشمال إلى الجنوب ٤٥ متراً وبابه متجه ناحية الشمال.

مبانيه وكنائسه:

يوجد بالدير صفين من القلالي في الجهة البحرية تعتبر أثرية لتقادم عهدها فهي من القلالي القبو.

ولكن الجزء الأكبر من القلالي حديث البناء مسقوف بالخشب وبها وسائل التهوية الصحية من شبابيك ومناور لإدخال النور ولكل قلاية مخبسة وهي عبارة عن غرفة صغيرة إذا أغلقت يصير الموجود بها بمعزل تام عن كل ضوضاء وهي خاصة للعبادة والهدوء.

ويوجد بالزاوية البحرية الشرقية قلاية ممتازة من الصنف القبو قديمة البناء لها طراز خاص ويقال أنها كانت سابقاً معدة لنزول البطاركة وتمتاز بهدوءها لبعدها عن بقية الدير ويدعونها " الكرنك ".

ويوجد حالياً بحديقة الدير العديد من العمارات الحديثة الخاصة بسكن الرهبان تم بناءها لتواكب النهضة الرهبانية والأعداد المتزايدة من الشباب المقبل على الرهبنة.

الحصن القديم

يوجد بالدير حصن مرتفع يبلغ ارتفاعه ثمانية عشر متراً وطوله أربعة عشر متراً وعرضه ثلاثة عشر متراً ومكون من أربعة

طبقات وبه بعض الكنائس الصغيرة، والجميل في هذا القصر العتيق أن جميع سقفه بالحجارة بطريقة القباب وأهم ما بداخله الآن كنيسة الملاك ميخائيل التي تقع في الدور العلوي منه وحجابها بديع النقش مطعم بالعاج الثمين وتقام فيها الصلوات في أعياد الملائكة والمناسبات الموافقة.

وقد قام بترميم هذا الحصن مع بقية أسوار الدير نيافة الأنبا ثاؤفيلس أسقف الدير السابق — نيح الله نفسه. وقد تأثر الحصن بزلزال أكتوبر ١٩٩٢م وقام نيافة الأنبا متاؤس أسقف ورئيس الدير بترميم وتجديد الحصن واستمر العمل به خمس سنوات فأعاد إليه بهاءه مرة أخرى.

الكنائس

أجمل الكنائس الموجودة بالدير هي كنيسة السيدة العذراء (السريان)وهي تمتاز عن بقية الكنائس ليس التي في الدير فحسب بل وفي البرية قاطبة بالنقوش التي تغشي جدرانها وأبوابها وقبابها والتي تدل على عظمة الفن المصري في القرون الوسطى.

وهذه الكنيسة من الطراز البازيليكي المنتشر في معظم كنائس القطر وتشبه في كثير من الوجوه كنيسة الأنبا بيشوي الموجودة بديره ولكنها تفوقها اتقاناً ومتانة كما أنها تشبه أيضاً كنيستي أبي سرجة والست بربارة الموجودتين بمصر القديمة.

ويبلغ طول الكنيسة حوالي ٣٠ متراً وعرضها نحو ١٢ متراً وارتفاعها ١٥ متراً والكنيسة بها صحن واسع هو عبارة عن الخورس الثالث ويفصل الخورس الثالث عن الثاني حاجز حجري أما الخورس الثاني فيفصله عن الخورس الأول بناء كامل يتصل بسقف الكنيسة ويفتح على الخورس الأول باب متسع مكون من أربع ضلف به نقوش غاية في الإبداع مقسم إلى ستة أقسام طولية في كل ضلفة من ضلفه الأربعة وكل قسم يعبر عن عصر من العصور التي مرت فيها المسيحية أو التي ستمر فيها وطبعاً عمل هذا إما بروح النبوة أو بروح الاستقراء من نبوات الكتاب المقدس عن العصور التي تمر فيها الكنيسة من البداية حتى النهاية كما ذكر في سفر الرؤيا مثلاً أو أسفار الأنبياء في العهد القديم وفي أعلى الباب رسوم من اليسار إلى اليمين بطرس الرسول القديسة مريم وشخص غير واضح اسمه والقديس مرقس.

وبالخورس الأخير من خلف جناحان جانبيان ينتهيان بجناح مستعرض يؤدي إلى المائدة والجناح الأيمن يتصل في نهايته الغربية بهيكل صغير ضيق به مذبح ثابت متصل بالجدار من جهة الشرق يقول التاريخ أن أنبا بيشوي كان يأوي إليه للعبادة وبجانب هذا المعبد الضيق المكان الذي كان ينام فيه ويوجد بسقفه حلقة حديدية مثبتة فيه يقال أنه كان يربط شعره فيها بحبل حتى لا يغلبه النعاس أثناء الصلاة ويظهر أن أعمدة تلك الكنيسة لم تكن

بالسمك التي هي عليه الآن لأنها كانت رفيعة مصنوعة من المرمر الثمين ولكن وقت ترميم الكنيسة أخفوا هذه الأعمدة الثمينة بطبقة كثيفة من الجبس.

ويرجع بناء هذه الكنيسة إلى وقت إنشاء الدير فأما حجاب هيكلها فهو يفوق الباب المتوسط الذي يفصل الخورس الأول عن الثاني الذي سبق وصفه وقد نقش بنفس الطريقة الأولى بالعاج الثمين وهو مكون من ستة ضلف كل ضلفة مقسمة إلى سبعة أقسام طولية ومنقوش على كليهما تاريخ صنعهما وهو سنة ٩١٤م ويقول بتلر أنها ترجع إلى القرن السابع الميلادي وعلى دائرته الخارجية مكتوب باللغة السريانية ما ترجمته أن هذا الباب قد عُمل بواسطة موسى رئيس الدير في زمن البطريرك غبريال الإسكندري ويوحنا الإنطاكي سنة ٩١٣ — ٩١٤ م والباب في أعلاه ستة رسوم من العاج لستة قديسين منقوشة أسماءهم باللغة اليونانية وهي بالترتيب من اليسار إلى اليمين القديس ديسقوروس، القديس مرقس عمانوئيل، القديسة مريم، القديس أغناطيوس، القديس ساويرس.

وعلى جانبي الهيكل في سقف الخورس الأمامي توجد قبة يحوطها نصفا قبتين عليهما من النقوش الجميلة الملونة والحافظة لرونقها حتى الآن ما يجذب الأنظار، فنصف القبة من الجهة

البحرية منقوش عليها صورة نياحة السيدة العذراء مريم وعليها بالسريانية اسم السيد المسيح. وقد تم رفع هذه الأيقونة في عام ٢٠٠٦م لتظهر فريسكا أخرى تمثل الميلاد وتظهر فيا السيدة العذراء وهي تحمل السيد المسيح وحولها الرعاة ومجموعة من الملائكة مسبحين رب المجد. ومن الجهة القبلية صورة البشارة والميلاد وعليها كتابة بالسريانية ما عدا اسم مار يوسف المكتوب باليونانية.

أما سقف الكنيسة كان محلى بالصور الزيتية الجميلة ولكن أحد الرؤساء عندما أراد تنظيف بناء الكنيسة أزال معالم تلك النقوش بتغطيتها بالجبس وقد كشفت البعثة الهولندية التي تعمل بالدير منذ عام ١٩٩٤م العديد من الأيقونات والفريسكات الأثرية بعد إزالة طبقة المحارة ومازالت تعمل الآن في الكشف عن العديد من الأيقونات وترميمها. ويوجد بالخورس الخلفي مقابل الهيكل تماماً نصف قبة ثالثة فوق الباب المؤدي إلى المائدة وهي محلاة بصورة الصعود ومكتوب عليها بالسريانية اسم السيد المسيح والرسولين أندراوس وسمعان بطرس ثم الشمس والقمر.

ويظهر أن هذه الصور والنقوش قد عُملت في عصر موسى رئيس الدير سنة ٩٠٧ — ٩٤٤م. تم نقل هذه الأيقونة بواسطة بعثة الآثار الفرنسية لتظهر خلفها أيقونة قبطية رائعة لبشارة

الملاك جبرائيل للسيدة العذراء وحولها أنبياء من العهد القديم وكل منهم ممسك بصحيفة بها نبوة عن الحبل الإلهي.

ويذكر بتلر أن حواجز هذه الكنيسة لابد وأنها ترجع إلى ما قبل سنة ٧٠٠م وتشترك معها في هذه الخاصية كنيسة أنبا بيشوي وكنيسة العذراء بدير البرموس وربما كانت هذه الثلاث كنائس أقدم الآثار المسيحية التي حفظت شكلها إلى وقتنا الحالي.

وتشبه كنيسة العذراء التي نحن بصددها مع أنصاف القباب الثلاثة علامة الصليب أما مكان المغسل أي اللقان فهو في الخورس الخلفي وهو مثبت في الأرضية.

وهيكل الكنيسة مزين بنقوش بارزة من الجبس في الجوانب الشرقية والبحرية والقبلية وهي من أبدع النقوش الأثرية ويقال أنها تمثل آلات الموسيقى التي كان يستعملها داود النبي في تسبيح الله ويرجع عهدها إلى وقت عمل حجاب الهيكل وبقية الزخارف الأخرى.

ويوجد على شمال الداخل إلى الخورس الأمامي تجاه باب الهيكل حجر أثري من الرخام طوله ٦٠ سم وعرضه ٥٣ سم خلاف الدائرة ومكتوب عليه باللغة القبطية العبارات الآتية وترجمتها.

أولاً على دائرة الحجر " نسأل أذكروا أبينا المطوب محبوب ربنا يسوع المسيح كي ينيح نفسه الطوباوية آمين.

ثانياً في بطن الحجر ٢٣ سطراً وترجمتها:

باسم الثالوث الأقدس المساوي في الجوهر الآب والابن والروح القدس. قد صار انتقال أبينا المطوب أنبا يوأنس كاما في اليوم الرابع والعشرون من شهر كيهك في الساعة الأولى من الليل في اليوم الخامس والعشرين من رئاسة الأنبا قزمان رئيس أساقفة الإسكندرية وإدارة أبينا القديس أنبا يحنس وبعد عشرة شهور من انتقال أبينا القديس كمسرة الله وتوفيقه تنيح أيضاً إلى الله الأب إسطفانوس في اليوم التاسع من شهر هاتور، وهذا الأب إسطفانوس كان ابنه الروحي (ابن أنبا يوأنس) في هذه السنة عينها قد تنيح كلاهما الاثنان بسلام من الله آمين وذلك في سنة ٥٧٥ من استشهاد القديسين تحت حكم ملكنا وربنا يسوع المسيح آمين.

نأتي الآن على وصف كنيسة السيدة العذراء (المغارة) وهي كنيسة جميلة أيضاً ولو أنها لا تضارع من حيث شكلها واتساعها كنيسة العذراء السالفة الذكر كما أنها ليست من طراز الكنيسة الأولى إذ أنها على الطراز البيزنطي. وهذه الكنيسة مربعة الشكل تقريباً وينزل إليها الإنسان بثلاث درجات تتصل

بدهليز صغير يقع على الجانب القبلي من الخورس الأول والخورس الثالث ويستعمل شتاءاً في اجتماع صلاة الغروب وهو يفتح على الخورس الثاني.

وهذه الكنيسة ثلاث خوارس متسعين الأمامي والأوسط والخلفي وعلى يسار باب الهيكل توجد أنبوبتين خشبيتين بهما رفات القديسين أنبا يوأنس كاما وأنبا أفرام السرياني موضوعتين في صندوق خشبي مرتفع.

ويُستعمل كنيسة السريان وكنيسة المغارة في إقامة القداسات بالتناوب فالكنيسة الكبرى أي كنيسة العذراء السريان تُستعمل في الصيف والأخرى أي كنيسة المغارة تستعمل في الشتاء نظراً لدفئها وقلة الفتحات والمنافذ بها.

وبجوار كنيسة المغارة تقع شجرة القديس أفرآم وهي شجرة ضخمة يبلغ محيط جذعها حوالي مترين ونصف تقريباً. وطولها حوالي اثنى عشر متراً وأغصانها ضخمة وكثيفة وهي من نوع التمر هندي، وللرهبان ثقة كبيرة فيها إذ أنهم يستعملون زهرها كمشروب للشفاء من كافة الأمراض وهو ذو طعم حمضي لذيذ وكذلك أيضاً ثمارها تستعمل لعمل مشروب التمر الهندي المعروف.

والقديس أفرآم صاحب هذه الشجرة كان راهباً سريانياً جاء ليزور الأنبا بيشوي في مغارته وكان يحمل عصا يتوكأ عليها فارتاب فيه بعضهم وعزوا حمله العصا إلى الكبرياء في نفسه ولما شعر القديس بذلك قال لأحدهم خذ هذه العصا واغرسها في الأرض فإن كنت قد حملتها للاستعانة بها على شيخوختي فإنها تنبت وتثمر وإن كان غير ذلك فإنها تموت ويقول الرهبان أنها ما لبثت أن نمت وكبرت وأتت بثمر كثير وكان ذلك برهاناً ساطعاً على قداسة أنبا أفرآم.

وللقديس أنبا أفرآم صورة في كنيسة العذراء المعروفة بالسريان وبيده شجرة مكتوب بجوارها " عكازه الذي أورق من خشب التمر هندي " وبالجانب الآخر مكتوب الشماس المكرم المبجل صاحب الميامر والمقالات والمصنفات القديس أنبا أفرآم السرياني وهي من رسم إبراهيم الناسخ سنة ١٧٧٣م وقد تم الانتهاء من ترميم كنيسة المغارة في يوم أحد الشعانين ١٦ برمودة ١٥٦٨ش، ١٨٥٢م وجرى تكريسها على يد الأنبا إيساك مطران الفيوم والبهنسا في رياسة القمص عبد القدوس وبحضور القمص ميخائيل رئيس دير أنبا مكاريوس (الذي صار فيما بعد الأنبا ديمتريوس البطريرك ١١١) والقمص يوحنا رئيس دير البرموس (الذي صار فيما بعد الأنبا

كيرلس ١١٢) وكان عدد الرهبان آنئذ ٥٦ راهباً منهم اثنين قمامصة وأربعة وخمسين راهباً.

وكان لكنيسة المغارة مغطس غرب الكنيسة يفتح على الخورس الثالث منها بواسطة باب متوسط وهذا المغطس مساحته ٥،٢٠ في ٥،٢٠ من الأمتار وقبليه دهليز أيضاً مساحته ٦،٨٠ في ٦،٨٠ من الأمتار وقد سد هذه الباب الموصل إلى الكنيسة واستعمل المغطس كمخزن للدير وحالياً يستخدم كمكتب لأمين الدير (الربيتة).

كنيسة الأربعين شهيداً بسبسطية

وهي كائنة بجوار كنيسة السريان من الجهة البحرية وهي صغيرة وبها هيكل واحد وقد كرسها الأنبا بطرس أسقف جرجا سنة ١٧٨٢م مع كنيسة السريان بعد بياضها وبهذه الكنيسة على يمين الداخل مقبرة لأحد مطارنة الحبشة يعرف بالتناقل بالأنبا سلامة ولكن على ما نظن أن هذا لقبه عند الأحباش أما اسمه الحقيقي فهو الأنبا اخرسطوذلو الذي كان راهباً بهذا الدير وصار رئيساً عليه وقد عين مطراناً على الحبشة وعاش حوالي سنة ١٥٢٤م ورجع من الحبشة ماشياً على رجليه من أجل الفضيلة وتنيح بالدير. وقد تم رفع هذه المقبرة من مكانها عام ووضع جزء من رفاته بمقصورة في نفس المكان.

أما الشهداء الذين بُنيت الكنيسة على اسمهم فهؤلاء كانوا من الجنود الشجعان في عهد ليكينوس قيصر سنو ٣١٣م فلما دارت رحى الحرب بينه وبين الملك قسطنطينوس اضطهد المسيحيين وأمرهم بإنكار دينهم ولما أبى هؤلاء الشهداء عذبهم بعذابات متنوعة ثم أمر عبيده بطرحهم في بحيرة من الجليد وأن يضعوا بجوارهم حمام ماء ساخن ليستغل ضعفهم في الرجوع عن عزمهم وإنكار إيمانهم، فشاهد الحارس في ذلك الوقت أربعين إكليلاً من السماء نزلت واستقرت على رؤوس تسعة وثلاثين منهم وبقى إكليل واحد معلقاً ثم رأى أن صاحب هذا الإكليل قد غُلب من شدة البرودة فخرج والتجأ إلى الحمام فمات لساعته فلما شاهد الحارس ذلك أعلن مسيحيته ونزل إلى البركة الجليدية فاستقر عليه الإكليل المعلق ومات مع التسعة والثلاثين الآخرين.

كنائس الحصن

موجودة بالدور العلوي بالحصن القديم كنيسة الملاك ميخائيل التي كان يصلي فيها الآباء إذا ما التجأوا إلى الحصن وقت هجوم البربر متخذين الملاك ميخائيل شفيعاً لهم في ضيقتهم ومحارباً عنهم ضد الأعداء الخفيين والظاهرين.

وهي صغيرة نسبياً وحجابها مطعم بالعاج الثمين بنقش جميل وكان بجوارها قديماً غرفة المكتبة ولكنها نُقلت إلى القصر الجديد وقد أضيفت هذه الغرفة بعد ترميم الحصن، الذي تم الانتهاء منه سنة ٢٠٠١م، إلى كنيسة الملاك ميخائيل وتم عمل مذبح آخر باسم السمائيين. كذلك أضيفت مذابح أخرى بالدور الأوسط باسم الآباء الرسل والبابا ديسقوروس والبابا ساويرس والأنبا صموئيل المعترف.

ملاحظة

يوجد بالحصن القديم بالدور الثالث غرفة يتوصل إليها من الدور الرابع من سقفها كان بها صندوق من الأبنوس يحوي عظام القديسين وكان عليه صور من بداخله محفورة ومطعمة بالسن وفي جانبه الشمالي مكتوب أسماءهم كما يلي " فهرست يتضمن أسماء الشهداء والقديسين الموضوعين في صندوق الشركة التي هي الجواهر النفيسة بدير الست السيدة العذراء المعروف بالأبهات السريان ... أول ذلك أبينا القديس ساويرس جزء – وديسقوروس جزء – وقرياقس جزء ويوليطة أمه جزء – وتادرس المشرقي جزء – وأربعين شهيد سبسطية جزء – ويعقوب الفارسي جزء – ويحنس القصير جزء – وأنبا موسى الأسود جزء – وشعر مريم المجدلية جزء وقد أُخرجت هذه

الأجزاء ووضعت في تابوت مع تابوت يوحنا كاما في كنيسة المغارة أيام الصلاة في الشتاء وينقل التابوتان إلى كنيسة العذراء بزفة تقليدية في نهاية الصوم الكبير وتبقى في كنيسة العذراء طول الصيف. وفي سنة ١٩٢٢م طلع المستر إيفلين هوايت [١] بترخيص من الطيب الذكر الأنبا كيرلس الخامس بعد ما أتاه بكتاب من فخامة اللورد اللنبي وكان معه اثنان واحد للتصوير والآخر للرسم.

وبعد أن قاما بتصوير الصندوق تم نقل رفات هؤلاء القديسين بمعرفة رئيس الدير إلى أنبوبة ، ولازالت موجودة إلى يومنا هذا مع الأنبوبة التي تضم رفات القديس الأنبا يحنس كاما في المقصورة الخاصة بهما بالكنيسة.

كنائس تهدمت

وكان بالدير أيضاً كنيستان الأولى باسم مار جرجس بجوار السور الشرقي للدير ولكنها تهدمت وفي مكانها يجتمع مجمع رهبان الدير كل مساء في الصيف لتأدية صلاة الغروب في الهواء

---

(١) قد انتحر هذا الرجل في سنة ١٩٢٤م . ووجد في مذكراته أن لعنة حلت عليه لأنه أوعز لبعض الناس لإخراج بعض أوراق قبطية بدير أنبا مكاريوس مكتوب عليها لعنة على من يخرجها) راجع جريدة الأهرام ١٦ / ٩/ ١٩٢٤ العدد ١٤٤٧٥.

الطلق. ويوجد بالسور حنية كبيرة مثل حنية حضن الآب في الكنائس وقد أضيفت بها صورة كبيرة للسيد المسيح جالس على العرش من الموزاييك في عام ١٩٩٤م.

كنيسة أنبا يحنس تهدمت هذه الكنيسة وبني مكانها طاحونة وقدتم تجديد الجزء الباقي من هذه الكنيسة مرة أخرى بها الآن مذبحان الأول باسم الأنبا يحنس كاما والثاني باسم القديس يحنس القصير.

قصر الضيافة

شيد هذا القصر الفخم في عهد المتنيح القمص مكسيموس رئيس الدير الأسبق سنة ١٩١٤م ويعتبر هذا القصر من أجمل المباني الحديثة الموجودة بالبرية وبه صالة رحبة مفروشة لاستقبال الزائرين وعدة غرف معدة لنزول الضيوف. وقد تم هدمه وبناء قصر ضيافة جديد في عهد نيافة الأنبا ثاؤفيلس.

المكتبة

وتوجد بالقصر الجديد في الطابق الأول منه وتحوي حوالي ٦٠٠ مخطوطاً يرجع تاريخ بعضها إلى ثلاثمائة سنة خلت وبعضها فريد في نوعه لا توجد منه إلا النسخة الموجودة بالدير — وبعضها رقوق أي منسوخة على جلد الغزال ومنها الحبشي

والسرياني والقبطي. ونظراً لضيق المكان تم نقل المكتبة إلى مبنى بحديقة الدير ويتم الآن الشروع في بناء مبنى مستقل لمكتبة المخطوطات.

السور والحديقة

أما السور فيعتبر أعلى أسوار الأديرة القائمة بالبرية ويبلغ متوسط ارتفاعه اثنى عشر متراً وفي سنة ١٩٠٢ وقع جزء كبير من السور البحري قبالة القصر الجديد فبناه المتنيح القمص مكسيموس الأسبق وكلفه مبلغاً عظيماً من المال وجهداً كثيراً حتى أنه يقال أن عدد العمال الذين استخدموا في بنائه بلغ حوالي مائتي عامل.

الحديقة الخارجية

إن كان لنا أن نذكر الحديقة الناشئة التي بجوار الدير فيلزم علينا أن نذكر بالدموع المتنيح القمص سيداروس، تنيح في عام ١٩٥١، الذي أنشأها بيديه وتعهدها كما يتعهد الإنسان طفلاً صغيراً حتى صارت حديقة مثمرة غناء تبشر بخير كثير. وقد أكمل العمل بها الراهب متياس السرياني (حالياً نيافة الأنبا دوماديوس مطران الجيزة).

وفي عام ١٩٨٨ أضيف جزء آخر جنوب حديقة الدير بعد استصلاحه بتشجيع قداسة البابا شنوده ومنذ تولي نيافة الأنبا متاؤس مسئولية الدير اهتم اهتماماً كبيراً بالزراعة واستصلاح أراضي كثيرة بالدير وقد قام ببناء سور خارجي يحيط بكافة مزروعات وأراضي الدير.

لمحة عن رهبان الدير

خرج من هذا الدير بطريركان الأول هو الأنبا غبريال الخامس والتسعون من بطاركة الكرازة المرقسية وهو من منشأة المحرق (١٥٢٥ – ١٥٦٨م) وقد تنيح هذا الأب المغبوط بدير الميمون ودفن ببيعة أبي مرقورة (أبي سيفين) بمصر. والثاني قداسة البابا شنوده الثالث أطال الله حياته الذي تولى الكرسي المرقسي في ١٤/ ١١/ ١٩٧١م. كما تخرج من هذا الدير العامر أساقفة كثيرون على مدى تاريخه الطويل ويوجد حالياً ما يقرب من عشرين مطراناً وأسقفاً من أعضاء المجمع المقدس من رهبان دير السريان.

ويزيد من قيمة دير السريان التاريخية أنه الدير الوحيد الذي استمر عامراً بالرهبان من بدء تأسسه حتى عصرنا هذا رغم تخرب الأديرة الأخرى. ولما خرب العربان الأديرة الشرقية (دير الأنبا بولا والأنبا الطونيوس) سنة ١٤٨٤م تمكن البطريرك

السابق الذكر الأنبا غبريال ٩٥ من تعميرها فأخذ ثلاثين من رهبان دير السريان الذين بلغ عددهم في ذلك الوقت ٦٣ وأرسل عشرين منهم لدير الأنبا أنطونيوس وعشرة لدير الأنبا بولا لتعمير هذين الديرين. كما أرسل إليهما كتباً وأدوات أخرى من ديره (السريان) ولا تزال هذه الكتب والأدوات موجودة هناك إلى يومنا هذا ومكتوب عليها وقف دير السريان ببرية شيهيت. ويسجل التاريخ حادثة واحدة عن هجر الرهبان لدير السريان، وكان ذلك لمدة وجيزة في عهد الأنبا مرقس البطريرك التاسع والأربعين وذلك لأن البربر نهبوا جميع الأديرة حوالي سنو٨١٧م.

وإليك بيان بعدد الرهبان بالأديرة العامرة ببرية شيهيت في فترات متفاوتة، منقولاً عن كتاب الأمير عمر طوسون يظهر منه أن دير السريان استمر عامراً بالرهبان حتى في الأوقات التي أقفرت فيها بقية الأديرة البحرية كما يظهر من الجدول التالي:

السنة	دير البرموس	دير السريان	دير أنبا بيشوي	دير أبو مقار	الجملة
١٦٦٧م	–	١٤	–	–	١٤
١٧١٩م	–	١٠	–	–	١٠
١٧٦٧م	–	١١	–	–	١١
١٧٨٠م	١٨	٢٠	١٨	٢٢	٧٨
١٨٣٥م	٧	٤٠	١١	١٧	٧٥
١٨٤٧م	–	٤٥	–	–	٤٥
١٨٥٢م	–	٥٦	–	–	٥٦
١٨٩٧م	٥٥	٤٠	٢٥	٣٠	١٥٠
١٩٠٦م	٢٠	١٨	١٦	٢١	٧٥
١٩٢٤م	٦٨	٥٨	٣٥	٤٠	٢٠١
١٩٣١م	٣٧	٤٩	٣٦	٢٧	١٤٩

رؤساء الدير

جمعنا البيان التالي عن رؤساء الدير ابتداء من القرن الخامس عشر من كتاب وادي النطرون للأمير عمر طوسون

١ – الأب قرياقس ١٤٨٤

٢ – الأب يوأنس ١٥٨٤

٣ – الأب عبد المسيح الأنبيري ١٦٢٤م

وقد عمل هذا الرئيس جملة إصلاحات في قصر الدير وكنائسه وعمل فسقية المياه وجدد أغلب الكتب والصور وكان في رئاسته ناظراً على الدير " أشرف المخادم شيخ العلم المعلم مينا أبي الفرج " وقد صار هذا الرئيس مطراناً على الحبش ودعى " اخرسطوذولو " ومكث بها زماناً ثم عاد وقضى بقية أيامه بالدير حتى تنيح ودفن به وعلى بعض كتب الدير ختم له بقدر دائرة ريال مكتوب في دائرته كلمات حبشية وبداخلها (الحقير

عبد المسيح مطران على الحبشة) وجسده مدفون في كنيسة الأربعين شهيداً وفي الدير عدد كبير من الكتب باسمه.

٤ — الأب يوحنا ١٦٨٤م

٥ — الأب ميخائيل ١٧٢٠م

٦ — الأب غبريال (؟)

٧ — الأب بطرس ١٧٤٢م

وكان رئيساً على الأربعة أديرة ورسم أسقفاً على جرجا — وله بالدير منشوران رعويان يقول في كل منهما:

(بطرس عبد عبيد الله المدعو بنعمة الله مطران على كرسي جرجا والصعيد الأعلى وكافة الشعب المسيحي بكرسي أخميم وجرجا وقفط وقوص ونقادة وإسنا وأرمنت وما ينسب إليهم) وعدد ورق المنشور الأول ٧٥ ورقة والأخر ١٦ وتاريخ نساختهما ١٢ هاتور ١٤٧٥ ش (١٧٥٩م) وله على بعض الكتب ختم قطره ٣سم ونصف مكتوب باللغة القبطية والعربية الحقير بطرس أسقف كرسي نقادة ١٤٦٧ش (١٧٦١ م).

وتوجد عدة خطابات من المعلم الجوهري إليه بخصوص الأديرة وما يجريه المعلم إبراهيم من الإصلاحات.

٨ — الأب منقريوس ١٧٧٣م

وكان ناظراً على الدير أنبا بطرس أسقف منفلوط.

٩ — الأب قلتة الناسخ ١٧٧٤م

وناظر الدير المعلم فانوس أبو نخلة وملصق على بعض الكتب جملة خطابات منه وإليه من مسلمين وأقباط. منها خطاب إلى

عمد ومشايخ ناحية أتريس يقول لهم فيه أن يقيسوا أطيان الرهبان نظارته على دائر القيراط حكم الحجج ويرسلوا له البيان ويشدد ألا يفرطوا في المقاس إلخ. وإمضاء كاتبه الحقير فانوس نخلة.

وكان الرؤساء يقيمون في الطرانة بالمنوفية ومن بعده إلى اليوم صاروا يقيمون في أتريس لترتيب شئون الدير أما الإقامة الرسمية الآن فصارت بالعزباوية بمصر.

١٠ — الأب يوحنا الفيومي (؟)

١١ — القمص عبد القدوس ١٨٤٤ وهو الذي بنى كنيسة العذراء بأتريس وقد أجرى جملة إصلاحات بالدير، ويحكى أن في أيامه حصل عوز لدير أنبا أنطونيوس فتكفل هذا الرئيس الكريم بمصاريف وتموين الدير وذلك في أيام البطريرك أنبا كيرلس الرابع.

ويوجد بخط المطوب الذكر الأنبا كيرلس الخامس على كتاب ميمر الأنبا بولس البوشي ما خلاصته أنه في عام ١٨٤٨م اهتم القمص عبد القدوس بطلوع قاعدة الطاحونة والعجلة والحجر وسقالة القصر وباب المطعمة .... إلخ.

١٢ — القمص يوسف المحلاوي (؟)

١٣ — القمص يوحنا بشارة (؟)

١٤ — القمص توضروس (؟)

١٥ — القمص يوحنا الإسناوي ١٨٩٠م (الذي صار مطراناً على الخرطوم سنة ١٨٩٥م باسم الأنبا صرابامون).

١٦ – القمص مكسيموس ١٨٩٧م ومكث ٤٥ سنة في رئاسة الدير وبنى أغلب قلالي الدير والقصر الجديد والطاحون وجزءاً كبيراً من سور الدير والساقية وكان في الغرب منها قبلي القصر القديم عين متروكة فأصلحها وجعل عليها الساقية وبلغ ما صرفه على أطيان وعمارات الدير ١٠٨٠٠ جنيه مصري.

١٧ – القمص فلتاؤس ومكث في الرئاسة ثمانية سنوات (١٩٣٩ – ١٩٤٧م) بعد أن قضى حوالي ٢٧ سنة وكيلاً للرئيس الأسبق.

وقد قام بعمارة عدة قلالي بحري القصر الجديد مع عدة إصلاحات أخرى واشترى بعض الأطيان وأضافها لوقف الدير هذا عدا الأموال التي اقتصدها بتدبيره الحسن والتي أوقفها على الدير.

١٨ – الأنبا ثاؤفيلس (١٩٤٧ – ١٩٨٩م)

وفي سنة ١٩٤٧م أنعم الله برئاسة الدير على الأب الطوباوي الأنبا ثاؤفيس الذي أنعم الرب عليه بروح حكمة وتدبير يسوس بها أبناءه الرهبان بمحبة فائقة فابتدأ الدير ينهض على يديه وينمو ويزدهر. وقد قام نيافته بإصلاحات عدة في الدير تشهد له بروحه الوثابة ونفسه المضحية الكريمة فقد قام بإصلاح الحصن القديم وصرف عليه ستمائة جنيه حتى ظهر برونقه الحالي واشترى مطبعة للدير لطبع الكتب الروحية والكنسية والمؤلفات القيمة التي خلفها لنا الآباء.

ورتب مدرسة لاهوتية لتثقيف الرهبان وكان يقوم بالتدريس بها بعض الرهبان الذين أنعم الرب عليهم بقسط من العلم أو بموهبة الألحان.

هذا عدا ما قام به نيافته من إصلاحات في أوقاف وعمارات الدير بالقاهرة وإصلاح الأطيان بالريف.

ورقد في الرب في ٥ ديسمبر ١٩٨٩م بعد أن قضى في رئاسة الدير ٤٢ عاماً.

١٩ – نيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس

تولى رئاسة الدير في ٦/ ٦ / ١٩٩٣م وكان قد ترهب بالدير في ٧ فبراير ١٩٦٥م ورُسم خوري ايسكوبس في عام ١٩٧٨ ثم رُقي إلى درجة الأسقفية في ٢٥/ ٥/ ١٩٨٠ وأشرف على كنائس مصر القديمة.

ومنذ توليه رئاسة الدير وهو يبذل قصارى جهده في النهوض بالدير من جهة عدد الرهبان فازداد عدد الرهبان والإخوة طالبي الرهبنة بشكل ملحوظ. وتم بناء عدة عمارات قلالي لسكنى الرهبان. واهتم نيافته بترميم الحصن وكنيسة المغارة وسور الدير القديم. وقد اهتم نيافته بإعادة بناء كنيسة الأنبا يحنس كاما في مكانها القديم كما سبق القول وبنى داخلها كنيسة باسم الأنبا يحنس القصير.

وفي عهده أيضاً تم بناء عدة كنائس جديدة منها كنيسة الأنبا بولا في بيت الخلوة وكنيسة الأنبا أنطونيوس بحديقة الدير

وكنيسة الأنبا متاؤس الفاخوري بالمزرعة الخارجية وكنيسة أبي سيفين في بيت الكهنة ويتم حالياً الانتهاء من بناء كنيسة كبيرة خارج أسوار الديرمن الجهة البحرية.

وقام نيافته بشراء حوالي ألف فدان حول الدير وأنشأ سوراً كبيراً يضم هذه الأراضي مع الدير وأصبح للدير بوابة جديدة خارجية. هذا عدا ما يقوم به نيافته من إصلاحات في أوقاف وعمارات الدير والعديد من المشروعات داخل الدير أنشئت في عهده والاهتمام بزراعة الأراضي وجلب الماكينات وحفر الآبار وشراء معدات كثيرة للنهوض بزراعة هذه الأراضي.

أطال الله حياته وحفظه لنا وللرهبنة سنيناً عديدة وأزمنة سالمة مديدة حتى يكمل مشروعاته حتى ينمو ويزدهر الدير في عهده المبارك بصلوات صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث أطال الله حياته الذي أعاد للرهبنة القبطية مجدها الروحي الذي شعت به أجيالاً طويلة على العالم أجمع، فبهرته بنور فضيلتها فجاء إليها أولاد الملوك والعلماء والأغنياء من المشارق و المغارب ليتتلمذوا على يدي أفاضل القديسين الذين فاحت رائحة نسكهم كطيب عطر. الذي له المجد والإكرام والعز والسجود الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين.

رقم الكود ١٠٤٠٣٠٤١